البراهين الممهدية
الى العقائد المنجية

تأليف العلامه

سلطان افندى بن حسن الموصلى

المدرس بمدرسة جامع النبي شيث

اختصره وعلق عليـــه

عبد الله بن محمد الحسو

المدرس بمدرسة آل الرضوانى

مطبعة الامام - ٩ يعقوب - مصر

البراهين المهدية
الى العقائد المنجية

تأليف العلامه

سلطان افندى بن حسن الموصلى

المدرس بمدرسة جامع النبي شيث

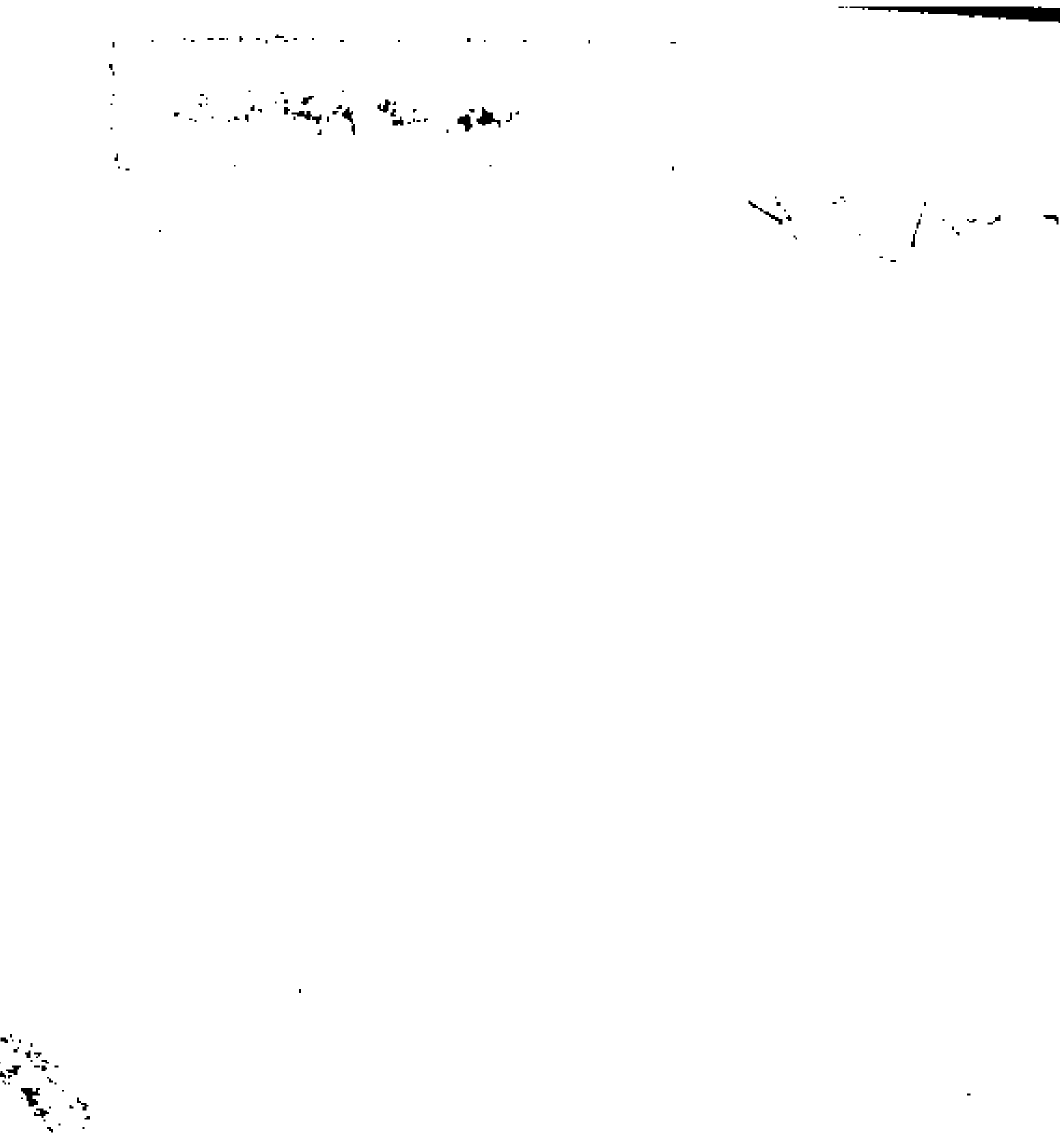
اختصره وعلق عليه

عبدالله بن محمد الحسو

المدرس بمدرسة آل الرضوانى

يجب فهمها بالكتاب والسنة ثم نعمل بما وافقها

مطبعة الامام - ٩ يعقوب - مصر




ترجمة مؤلف الأصل (البراهين المهدية)

هو الشيخ سلطان افندى بن حسن الصائغ ، كان أولا مشتغلا بصنعة الصياغة ثم تركها وانهمك فى تحصيل العلم ، وصلته رسالة الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب المسماة (كشف الشبهات) فتلقاها بالقبول وأيدها بتعليقاته على هامشها وألف رسالة نحوها أولها : لك الحمد يا ربنا بأنك واجب الوجود ، وألف البراهين المهدية .

الله أعلم بصحة العلم المذكور

كان مدرسا فى مدرسة النبى شيث ومدرسة باب الطوب فى الموصل ، ولد فيها وأخذ الاجازة من شيخه على افندى محضر باشى وقرأ على حسين افندى وملا محمد بن ملا محمود الاربيلى قرأ عليه وأخذ الاجازة منه فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٦٩ الشيخ الكبير معتقد أهل الموصل عثمان افندى الرضوانى والد الشيخ المشهور الحاج محمد افندى آل الرضوان

رحم الله العلماء والملهين المشتغلين بارشاد الخلق إلى الدين الاسلامى الصحيح الخالى من البدع والشركيات والضلالات المبتدعة آمين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك ياذا الطول والقوة والحول ، ونصلى على نبيك المنقذ من الضلاله ، وعلى آله وأصحابه أهل الكمال

أمابعد : فلما كان علم العقـائد من أهم الواجبات ، وأنفس المرغوبات ، إذ به يوصل إلى معرفة وجود الصـانع ، وإدراك صفاته وعلمه وقدرته وإرادته وفرط رحمته ، حاولت أن أذكر منه فى هذه الرسالة زبدة ما اتفق عليه علماء الاسلام وماهو الصواب مضيفا إلى ذلك بعضـاً من البراهين التى من الكتاب والسنة استخرجتها ، وملحقاً به من الأبحاث اللازمة مايجب التحذر منه ممايوقع فى الافتتان سائلا منه تعالى النفع بها لى ولكل ناظر فيها من المنصفين ، ورضوانه عنى وعن أحبابى وعن جميع المسلمين انه قريب مجيب ، ومن قصـده لايخيب ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وسميتها (البراهين المهدية إلى العقـائد المنجية) فأقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق

اعلم انه يجب على كل إنسان معرفة أن صانع العـالم واحد ولايمكن معرفة كنه ذاته ، ولامعرفة كنه صفاته ، بل الواجب معرفة أن ذاته ثابتة وأن صفاته ثابتة أيضاً من غير تعرض إلى أنها عين ذاته المقدسة .

ثم قال فى صحيفة ١٦

اجتمعت الرسل كلهم على الدعوة إلى كلمة التوحيد وهى كلمة لا إله إلا الله ، وهى بمنطوقها دالة على قصر الألوهية على الله تعالى(١) قصرا حقيقيا ـ ومقتضاه أن الله تعالى هو الذى يستحق أن يعبده كل مخلوق لأنه لا يستحق العبادة التى هى عبارة عن الطاعة والانقياد والخضوع إلا من كان هو النافع والضار للكل على الاطلاق ، فمن لا يملك نفعاً ولا ضراً بالنسبة إلى بعض المخلوقين لا يستحق أن يعبده ذلك البعض ويطيعه وينقاد له ويخضع له بالوجه المختص بالله احترازا عن نفع العباد وضرهم ولا البعض الآخر ولا نافع ولا ضار للكل على الاطلاق إلا الله تعالى استقلالا من غير سيطرة الغير وذلك لأن قدرته تعالى ذاتية له غير مستفادة من خارج وهى شاملة لجميع المقدورات بخلاف قوة غيره من المخلوقين

---

(١) الذى مسماه غير جميع العوالم وغير المفهوم الكلي وغير الوجود المطلق وغير حقيقة الحقائق وذات الذوات ، وغير الواجب عند المتكلمين والمناطقه والفلاسفة فانه عندهم جزء حقير وضعوا له هم وأمثالهم لأمثاله من الوجود المطلق ونحوه مما ذكر فى الغيريات كلمة الله وضعا كاذبا شيطانيا ، والله سمى غير ذلك كله بكلمة الله مما لا يعرفه هؤلاء الجهلة وهو المعبود بحق الذى أوجب الله عبادته على الكل وعبدته الرسل واتباعهم بالفعل ... المؤلف لحاشيته

فانها عبارة عن قدرة ناقصة ، ويوضح ذلك قوله تعالى (وأن القوة لله جميعاً) وفى الحديث لاحول ولاقوة إلا بالله فلامعبود بحق فى الوجود وبالمعنى الذى أراده وشرعه إلا الله تعالى فهو المستحق للعبادة لاغيره وهو المعبود الحق

وينبغى أن يعبد لإجلاله وإظهار كبريائه وكماله ، فالعبادة الحقيقية لله تعالى أن يعبده تعظيما لجلاله وتشريفا بخدمته واعترافاً بعزة الربوبية ، وذلة العبودية ، وأن تكون عبادته على طريق الحصر والاختصاص به تعالى . فمن اعتقد فى مخلوق مشاركته للبارى تعالى فى شىء من أنواع العبادات فقد أشرك واتخذ لله نداً وقد قال الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ، ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) فمن اتخاذ الانداد الصلاة عند قبور الانبياء والصالحين والأولياء واتخاذ قبورهم مساجد ، فقد صح عنه ﷺ أنه لعن اليهود والنصارى بذلك فقال : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك

وسبب دعائه عليهم باللعنة أنهم كانوا يصلون فى المواضع التى دفنوا فيها أنبياءهم ، إما نظراً منهم بأن السجود لقبورهم تعظيم

لهم ، وهذا شرك جلي ، ولهذا قال ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وإما ظناً منهم بأن التوجه إلى قبورهم حالة الصلاة أعظم وقعاً وأكثر أجراً عند الله تعالى لاشتماله على أمرين : عبادة الله تعالى وتعظيم أنبيائه ، وهذا شرك خفي ، لأنهم يكونون حينئذ قد أتوا بعبادة الله تعالى بما يرجع إلى تعظيم مخلوق .

لا صلاة عند عبادة غير الله كالاولياء

قال الشافعي رضي الله عنه : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس ، ثم قال أقول : أما الحي فيخاف عليه من التعظيم فتنة الكبر وما يترتب عليه ، وأما الميت فيخاف على غيره من تعظيمه فتنة الشرك .

وقد أخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي وكان من أصحاب علي كرم الله وجهه قال : قال علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته ؟ ومعناه ألا أرسلك في أمر وأجعلك أميراً عليه ؟ كان رسول الله ﷺ قد جعلني أميراً عليه ، وذلك هو محو الصور وابطالها بالكلية وتسوية القبور المرتفعة عن الارض بالبناء والجبناء ونحوهما لعدم الفائدة واتباع الجاهلية وافتتان الناس بها وأما القبور المعلمة بالرمل والحجارة مقدار شبر لتعرف ولا توطأ

فلا يجوز تسويتها ، لأنها سنة فى قبور المسلمين .

ومن اتخاذ الانداد تعظيم قبور الأكابر من الأنبياء والاولياء والصلحاء (١) بالذبح عندها والنذر لها ، واستلامها أو تقبيلها والطواف بها ، أوأخذ ترابها أو إيقاد الشموع والسرج عليها أو دعاء أصحابها ، والاستغاثة بهم أو نحو ذلك

وأما الذبح عندها فلاشك أنه من أنواع الشرك ، والمذبوح لذلك هو نجس خبيث ، وأكله حرام ، لأنه من قبيل ماذبح على النصب وقد قال الله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) إلى قوله (وماذبح على النصب) فان المراد بما ذبح على النصب ماذبح على قصد تعظيم النصب والتقرب إليه بالذبح له وإن كان الذبح على اسم الله تعالى ، وليس المراد بماذبح على النصب : ماذبح على غير اسم الله تعالى ، وإلا لكان قوله تعالى (وماذُبح على النصب) بعد قوله تعالى (وما أهل لغير الله به) تكراراً مستغنى عنه

والنُّصُب هو كل مانصب وعبد من دون الله تعالى من شجر

---

(١) وهم المتعبدون بالدين المشروع الخالى من بدعة وضلالة لا الذين يعتقدهم الجاهل علماء صلحاء وهم فى الواقع جهلاء ضالون مضلون .

أوحجر أوقبر أوغير ذلك ، فيدخل فيه القرابين التى تساق إلى بعض المشاهد من ضرائح الانبياء والأولياء وغيرهم للتقرب إليهم بذلك فانها حرام أيضا ، ولايحل تناول شيء منها وإن ذبحت على اسم الله وحده لأن القصد بها غير وجه الله تعالى بل تعظيم غيره والتقرب إلى ذلك الغير بالذبح فهى من قبيل النجاسات التى يجب طرحها والالقاء بها إلى الكلاب

ثم ينبغى أن يعلم أن التعظيم يكون على قسمين: الأول تعظيم العبادة والثانى تعظيم الاكرام ـ وان النوع الأول هو من اقسام الشرك دون الثانى وأن التقرب بالنحر والذبح هو من قبيل النوع الاول ،فان قلت يجوز أن يكون التقرب بالنحر والذبح من قبيل النوع الثانى الذى هو عبارة عن تعظيم الاكرام لامن قبيل الأول الذى هو عبارة عن تعظيم العبادة ،قلت لايجوز جعله من أقسام تعظيم الاكرام ، بل يتعين كونه من أقسام تعظيم العبادة ، وذلك من وجهين .

الوجه الأول : أن علامة تعظيم العبادة توقع المعظم من المعظم جلب النفع ودفع الضر ، واعتقاد حصولها من تأثيره ، ولاشك أن المتقرب إلى أحد بالنحر والذبح يرجو النفع ويحذر الضرر ، بل ربما يدعو ويطلب ذلك منه ، ولايجوز ذلك إلا من الله تعالى .

فان قلت ان الرسل عليهم الصلاة والسلام وكذلك صلحاء العلماء (١)هم وسائط بين الله وبين عباده ،فكيف لا يتوصل بهم إلى بلوغ المطالب ، وحصول المقاصد والمآرب ؟ قلت نعم إنهم وسائط بين الله وبين عباده ولكن فى تبليغ الأحكام لا فى جلب المنافع ودفع المضار .

فان قلت : أتنكر الأسباب فقد تكون الاستغاثة بهم والطلب منهم ونحو ذلك أسباباً للانقاذ من المصائب ونحوها . قلت : الاعمال الدينية لايجوز اتخاذها أسباباً إلا أن تكون مشروعة فان العبادات مبناها على التوقيف فلايجوز لأحد أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن تيقن أن ذلك سبب لحصول غرضه ، فان الشياطين قد تعين الناس على مقاصدهم استدراجاً لوقوعهم فى شبكة الشرك واستحقاق العذاب ، كيف وقد قال الله تعالى (ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الآية

الوجه الثانى : أن التقرب بالنحر هو عبادة مالية ، ولهذا قرن مع الصلاة فى قوله تعالى (فصل لربك وانحر) فالصلاة عبادة

---

(١) أى بحسب الواقع الذى يرضاه الله من العلم الصحيح والصلاح الذى كان عليه الرسول ﷺ

بدنية ، والنحر عبادة مالية ، وكأنه قال أخلص العبادتين لربك العبادة البدنية والعبادة المالية ، وخالف المشركين الذين يعبدون غيره ، وينحرون القرابين لغير وجهه ، وعلى غير اسمه . ولهذا قالت الفقهاء : لو ذبح الرجل لقدوم أمير أو واحد من العظماء يحرم ولو ذكر اسم الله تعالى ، وللضيف لا يحرم .

ومن اتخاذ الانداد : الذبح في المواضع التى كانت الجاهليـة والـكفرة يذبحون فيها لأوثانهم أو فى أعيادهم وإن لم يكن هناك وثن ولا قبر ، لما ورد فى الحديث عن ثابت عن الضحاك قال « نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة ، وهى اسم مكان من الارض ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من أعيـادهم قالوا لا فقال رسول الله ﷺ أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود ثم قال المؤلف أقول إنما كان النذر بالذبح فى المواضع التى كان فيها وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعيادهم حراماً ممنوعاً لأن فيه جر الناس وإيقاعهم فى فتنة ان ذلك المكان فيه تاثير فى جلب النفع ودفع الضر ولأجل هـذا كانت الجاهلية ينذرون له ويتخذون له عيداً مخصوصاً وما يجر إلى تكفير الناس فهو كفر بالاتفاق ، ولأنا قد نهينا عن التشبه بالكفار ولو فى العبادات فضلا

عن غيرها ، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ فى صيام يوم عاشوراء أن نصوم معه اليوم التاسع لنخالفهم فى كل شىء حتى فى خالص العبادات ، فأنا لو وافقناهم ولو فى خصلة من خصال الخير لو جاءمرى الموافقة إلى غيرها مما يكون فى خصال الشر إذ الشر سريع السراية فاذا فعلنا خصلة من خصال الخير فالواجب علينا أن نفعلها على هيئة مخالفة للهيئة التى يفعلونها .

ولكون الشر سريع السراية لما بلغ عمر رضى الله عنه أن الناس ينتابون الشجرة التى بويع تحتها النبى ﷺ أرسل إليها فقطعها وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه انه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ونحن حديثو عهد بالاسلام وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم يقال لها ذات أنواط فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبى ﷺ الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ثم قال ﷺ انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من قبلكم .

ومن اتخاذ الانداد ، تعظيم القبور بايقاد الشموع والسرج عليها فقد أخرج أبوداود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

أقول ولهذا قال العلماء لايجوز نذر الشموع والزيت ونحو ذلك للقبور فانه نذر معصية لايجوز الوفاء به ، بل يلزم كفارة مثل كفارة اليمين .

ولايجوز أن يوقف على القبور شيء من ذلك ونحوه كنذر الكسوة بالثياب لقبور الصالحين (١) أو وقف الأستار عليها للتعظيم ، فان جميع ذلك حرام ، وغايته اتخاذ الأنداد لله تعالى

ومن اتخاذ الانداد : الدعاء وطلب الحاجة من غيره تعالى والاستغاثة بماسواه (٢) قال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين إلا فى ضلال) وقال تعالى (ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاهو) الآية وقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا) وكان

---

(١) هم الذين عملوا بالقرآن والحديث على الوجه المشروع فى غير تقليد وبدع ومنكرات (٢) أي فى الامور المختصة به كشفاء المرضى .

أقوام من الكفار يدعون المسيح وعزيراً والملائكة والانبياء ، فبين الله سبحانه وتعالى لهم أن هؤلاء لايستطيعون أن يكشفوا عنهم الضر من مرض أوفقر أوعذاب ، ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر ، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، وقال تعالى (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ، إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ، ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية

وفى هذه الآية الأخيرة خمسة فوائد : الأولى قوله تعالى (من دونه) أى من تزعمون انه يقضى لكم حاجة من دون الله تعالى كائناً من كان نبياً أو وليا ، شجراً أو حجراً ، جنياً أو انسياً

الثانية : أن غير الله لايملك مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ، فاذا كان غير الله لايملك شيئا فكيف نطلب من الذى لايملك شيئاً .

الثالثة : ليس لغير الله شركة معه فى شىء من الربوبية والألوهية حتى تطلبه من خلقه .

الرابعة انه ليس لله معين فى أمر من الامور حتى تطلب منه

وتقول المعين يفعل مايريد ولايخالفه المعان ، والله تعالى غنى عمن سواه بل ماسواه قائم به كما قال تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد)

الخامسة : ولايتكلم عنده بشفاعة أحد فتنفع شفاعته إلا أن يأذن له بالكلام كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلامن أذن له الرحمن وقال صوابا) وهو لايأذن إلا لأهل التوحيد

المذكور صفحة ٩٥

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف) رواه الترمذى وقال حديث حسن ، وفى رواية غير الترمذى « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً »

وإنما كان تعظيم القبور بما ذكرنا والاستغاثة بأهلها من أنواع اتخاذ الانداد لأن هذه الاشياء من جنس العبادة ، وقد قال الله تعالى

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) ولأنها إما للاستمداد وطلب المعونة منهم فى قضاء الحوائج وهو كفر صريح أو لاتخاذهم واسطة بينهم وبين الله تعالى وشفعاء لهم عنده فى تحصيل المقاصد وهو دين الكفار وعباد الأوثان الذين قال الله تعالى فى حقهم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال فى حقهم أيضا (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ولما قال الكفار نحن لانعبد الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل أشخاص كانوا عند الله من المقربين ، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء عند الله تعالى نزل قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) رداً عليهم ، وتقرير الرد أن يقال ، انكم أيها الكفار إما ان تعتقدوا أن الشفاعة من هذه الاصنام أو من الاشخاص التى هذه الاصنام تماثيل لها ، والاول باطل بالبداهة إذ لايتصور صدور شفاعة من الذى لا يملك شيئاً ولا يعقل ، والثانى أيضا باطل لأن أحداً لايقدر على الشفاعة إلا بأذن الله فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله تعالى .

ومن اتخاذ الانداد : إطاعة الرؤساء والسادة فى تحريم ماحرموه وتحليل ماحللوه مما لا يوافق أمر الله تعالى وحكمه

روى أن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ

لما سمع قول الله تعالى فى حق أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم) الاية يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال ﷺ « أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحللون ماحرم الله فيحلونه ؟ فقال بلى ، قال : ذلك عبادتهم »

وقال الربيع قلت لأبى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل ؟ قال ربما انهم وجدوا فى كتاب الله تعالى ما يخالف أقوال الاحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله

ومن المحرمات اتخاذ التصاوير والتماثيل فقد روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أشد الناس عذاباً عند الله المصورون » وروى البخارى ومسلم عن أبى طلحة رضى الله عنه أنه قال : قال النبى ﷺ « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كاب ولاتصاوير » وروى البخارى ومسلم أيضا عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل مصور فى النار، يجعل له بكل صورة صورها نفسا تعذبه فى جهنم » وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ويقول إنى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وكل من دعا مع الله

إلهاً آخر ، وبالمصورين » وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى لم يكن يترك فى بيته شيئاً فيه تصاليب ، وهو صنع الصليب وتصويره وهو شيء مثلث يعبده النصارى ، وعن سعيد بن جبير قال كنت عند ابن عباس رضى الله عنه فأتاه رجل وقال انى رجل معيشتى من هذه التصاوير فقال ابن عباس رضى الله عنه سمعت رسول الله (ص) يقول ان الله يعذبه حتى ينفخ وليس بنافخ ، ومن استمع حديث قوم يفرون منه صب فى أذنيه الآنك ومن يرى عينه فى المنام مالم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين : قال المؤلف : لعل العلة فى تحريم اتخاذ التصاوير والتماثيل انه يجر إلى تعظيم الصور والوقوع فى عبادتها .

وعن عائشة رضى الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » رواه مسلم

قال العلماء ففعل ذلك أوائلهم ليستأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك أزمان ، ثم انهم خلف من بعدهم خلف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءهم وأجدادهم كانوا

يعبدون هذه الصور فعبدوها ، وكان هذا مبدأ عبادة الاصنام .

فان قيل : الحديث السابق وهو قوله (ص) « أشد الناس عذابا عند الله المصورون » يقتضى أن يكون المصورون أشد عذاباً من فرعون وأمثاله مع أن كفر هؤلاء ثابت مقطوع به ، والمصورون غير مقطوع بكفر كل فرد منهم ، لأن تصويرهم للصورة يجرهم إلى الشرك وعبادة الأصنام وقد لا يجرهم إلى ذلك

قيل يحتمل أن يكون المراد من الحديث أن أشـــد الناس استحقاقا للعذاب المصورون لتشبههم بالخالق ، فتصويرهم الصور كالمتضمن لدعوى الخلق ، ومن ثم جاء فى الحـــديث أنه يقال للمصورين يوم القيامة « أحيوا ماخلقتم » وحينئذ لايشكل بفرعون وأمثاله ، فانهم مع ادعائهم الألوهية لم يدعوا الخلق ، ولايلزم من أشدية استحقاق الشخص للعذاب استحقاقه أشده ولا أن يعذبه

ثم أقول إنما استحق المصورون العذاب الأشد لأن تصويرهم للصور مما يتسبب لعبادتها أو يدل على تحقيق رضاهم بها والرضاء بالشرك وعبادة الاصنام هو عين الشرك

وههنا أبحاث لازمة عما يوقعك فى الافتتان ويجر إلى عبادة الأوثان فمنها الحلف بغير الله تعالى فقد روى الترمذى وابن حبان والحاكم بأسنادهم عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله (ص) يقول « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك »

والحكمة فى النهى عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى لايضاهى بها غيره ، وأيضا ان الحلف معهود بما هو المعبود وهو الله تعالى فاذا وقع من انسان حلف بغير المعبود الحق باعتبار تعظيم ذلك الغير عنده كان ذلك لتنزيله منزلة المعبود الحق ، وادعاء المساواة بينهما كفر وشرك ، فان عماد الاسلام تعظيم الله وتعظيم أمره فقط

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال لأن أحلف بغير الله صادقاً أشد علىّ من أن أحلف بالله كاذباً

ووجه ذلك أن الحلف بغير الله صادقاً نوع من الشرك ، والحلف بالله كاذباً معصية ، والمعصية أخف من الشرك وأسهل ، فالحلف بغير اسم الله تعالى فيه تعريض إلى الكفر ، والحلف باسمه تعالى فيه تعريض إلى المعصية ، لأنه إن كان كاذباً فقد أتى باليمين الغموس التى تدع الديار بلاقع وغمس صاحبها فى الاثم ، وان كان صادقاً فقد جعل اسم الله تعالى عرضة لأيمانه وأساء لأن الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر الله تعالى

وفى المحيط قال على الرازى : أخاف على من يقول بحياتى وحياتك وما أشبه ذلك الكفر لظاهر قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً) وقوله (ص) « من حلف بغير الله فقد أشرك »

هذا كله من أوله إلى هنا كلام الشيخ المؤلف صحيفة ١٦

إلى ص٢٩ من رسالته المخطوطه : ثم قال فيها ص ٦٢ :

وقال النبي ﷺ « كذب المنجمون ورب الكعبة » وقال ﷺ « إذا ذكر النجوم فأمسكوا » وقال (ص) « من آمن بالنجوم فقد كفر بما أنزل على أبي القاسم صلى الله عليه وسلم »

قال المؤلف : فأقاويل المنجمين كلها ظنون كاذبة وأحاديث ملفقة لا طائل تحتها ، لأن الحكم على وقوع شيء إما أن يكون بالحس أو بالعقل أو بالشرع او بالتجربة والعادة المستمرة المتوافرة أما معرفة علم الساعة بالحس فمحال بالاجماع ، وأما بالعقل فلا برهان لأهل الاحكام النجومية من حيث العقل اصلا ، وما تكلفوا في ذلك لخرافات وتمويهات يضحك منها الصبيان والمجانين ، فضلا عن العقلاء . وأما الشرع فقد اخبر بإخفائه عن المخلوقات كلها كما سبقت لك الآيات المذكورات . وأما التجربة واستمرار العادة والتواتر فمعدومه أيضا ، لأن التجربة إنما ينتفع بها في الأمور المحكمة الواقعة على الأكثر الأغلب ، لا على النادر المستغرب ، والعادات إنما تكون مستمرة متكررة . وقد شاهدنا أحكامهم غير متكررة ولا مستمرة ، بل تصيب مرة ، وتخطيء الف مرة ، والعادات ليست كذلك ، والتجارب انما تكون بالامتحانات الطويلة وهي في أحكامهم باطلة . اهـ كلام المؤلف ثم قال ص٦٤ :

وأما التطير فأصله التفاؤل بالطير ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت عاداتهم أنهم اذا خرجوا لحاجة فان رأوا الطير

الوحش يمر يمنة يتبركون به ويذهبون فى حاجاتهم ، وان رأوا الطير الوحش يمر يسرة يتشاءمون منه ويرجعون الى بيوتهم ، وربما كانوا ينفرون الطيور أو الوحوش فينظرون اليها كذلك . ثم استعمل التطير فى كل ما يتفاءل به سواء كان طيراً أو غيره وكله حرام . ويدخل فيه الفأل الذى يفعل فى زماننا ، حفظنا الله من مضلات الفتن ماظهر منها ومابطن . قال (ص) « ثلاث لا ينجو منهن احد : الظن والطيرة والحسد . وسأحدثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض ،واذا حسدت فلا تبغ » هذا كلامه ثم قال ص٦٦:

ومما يجر الى الافتتان : حب المال والجاه والرياسة فانه ينتهي إلى درجة الكفر ،ويوقع صاحبه فى الهلاك المؤبد كما وقع ذلك لعلماء اليهود والنصارى ورؤسائهم خافوا إن هم بينوا صفة محمد (ص) وتابعوه وآمنوا به أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة ، فاختاروا الدنيا على الآخرة فضلوا وأضلوا ووقعوا فى فتنة الكفر . نعوذ بالله من ذلك . قال رسول الله (ص) «حب الدنيا رأس كل خطيئة» حديث ضعيف . وذلك لأن حبها يدعو الى كل خطيئة ، ظاهرة وباطنة . لاسيما التى يتوقف تحصيلها عليها ، اذ يوقع أولا فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات ، بل كثيراً ما يوقع فى الكفر . ألا يرى ان جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم انما حملهم على كفرهم حبها ، فان الرسل عليهم السلام لما نهوا عن المعاصى التى

كانوا يكسبون بها الدنيا ، حملهم حبها على تكذيبهم . فكل خطيئة فى العالم أصلها حب الدنيا

ومما يجر الى الافتتان : الشح الشديد والبخل ، وعدم إنفاق المال فى حقوقه

ومما يجر الى الافتتان الكبر ، قال رسول الله (ص) لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . اه باختصار

ثم قال صحيفة ٦٧ :

ومن أسباب الكبر الشهرة وقد قال (ص) بحسب امرىء من الشر أن يشار اليه بالأصابع فى دين أو دنيا إلا من عصمه الله

ومما يجر الى الافتتان مداومة النظر الى النساء الأجنبيات . وقد روى معاذ بن جبل عن رسول الله (ص) انه قال « اتقوا الدنيا واتقوا النساء » وأخرج ابن أبى شيبة : لم يكن كفر من مضى الا من قبل النساء وهو كائن كفر من بقى من قبل النساء (١)

وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفه (رض) قال قال رسول الله (ص) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها من خوف الله أثابه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه(٢)

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن مسلم ينظر الى امرأة بأول رمقه ثم يغض بصره الا أحدث الله له عبادة (٣) الخ

(١ و٢ و٣) يجب التوقف فى تصحيح هذه الاحاديث

ومما يجر الى الافتتان ، الحسد فقد قال (ص) دب اليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء هي الحالقة . لا أقول لكم تحلق الشعر ولكن تحلق الدين

بعض وانما كانت هذه الخصلة حالقة للدين لانها تمنع الانسان من فعل الخيرات والمحبة الكاملة في الله ، لان الممتلىء صدره حسداً أو بغضاً لا يكمل محبة ، ولا يجد حلاوة الطاعة في قلبه ، فانه لم يرض بقضاء الله تعالى . ثم قال:

(تنبيه) اعلم أن أصول الضلال ثمانية أشياء : فذكر منها الشرك وعد من أنواعه شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين وشرك الأسماء كما قال تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآيه . قال وهو أن سمياه عبد الحارث (١) ثم قال :

(الثالث) شرك في الاوصاف كاعتقاد اتصاف غير الله تعالي أيّ غير كان من نبي أو ولي أو غيرهما بما هو مختص بالله تعالي كعلم الغيب وشبهه الاعلى اعتقاد اخبار الله به ، كالشرائع التي أخبر الله بها رسله . ثم قال :

(الخامس) شرك التقليد كشرك من قال إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وهم وآباؤهم في ضلال مبين

(١) يجب أن يتوقف في هذا التفسير للآيه وفي نسبة هذا الشرك من قبل الله إلى آدم وحواء لانه لم يثبت سند الروايه بذلك

(السادس) شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كعمل المرائين . ثم قال :

(السابع) شرك تقريب، وهو عبادة غير الله تعالى ليتقرب بها إلى الله كشرك عباد الأصنام . ثم ذكر من أصول الضلال التقليد الردى ، وهو متابعة الغير لأجل الحمية والتعصب من غير طلب للحق . ثم قال :

الثامن (أى من أصول الضلال) الجهل المركب وهو أن يجهل الرجل الشيء ويجهل جهله به . واحترزنا به عن الجهل البسيط فان صاحبه جاهل ويدرى بأنه جاهل فيجتهد فى التعليم ، بخلاف صاحب الجهل المركب

ثم قال فى خاتمة رسالته :

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والانعام ، يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير انه على كل شيء قدير ، وبعباده خبير بصير ، وبه المستعان ، وعليه التكلان ، فمن آمن به هداه ، ومن توكل عليه كفاه ، لا راد لما قضاه ولا مبدل لما أمضاه ، وهو أعلم العالمين ، وأقدر القادرين.

هذه حاشية البراهين المهدية الى العقائد المنجية

لمؤلفها العلامة عبدالله بن محمد الحسو

قال المؤلف : يجب على كل إنسان معرفة أن صانع العالم واحد

(أقول) قال الامام البخارى فى صحيحه « باب العلم قبل القول والعمل» لقول الله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) فبدأ بالعلم . وقال جل ذكره (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال (وما يعقلها إلا العالمون) (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقال (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال النبى « من يُرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » اه

قال شارحه العسقلانى : قال ابن المنير : أراد (أى البخارى) به أن العلم شرط فى صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما ، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل

ثم قال (أى العسقلانى) قوله (فبدأ بالعلم) أى حيث قال (فاعلم أنه لا إله الا الله) والخطاب وان كان للنبى (ص) فهو متناول لأمته . وينتزع من هذه الآية دليل وجوب المعرفة

وقوله (لو كنا نسمع أو نعقل) قال شارحه : فالمعنى لو كنا من أهل العلم لعلمنا ما يجب علينا فعملنا به فنجونا

وقال أيضا عند قول البخاري «وانما العلم بالتعلم» هو حديث مرفوع إسناده حسن . والمعنى : ليس العلم المعتبر الا المأخوذ من الأنبياء على سبيل التعلم .اهـ ملخصاً

فثبت بما نقلناه دليل ما ذكره المؤلف من وجوب معرفة وحدانية الله ، فان هذه المعرفة هي المقصودة من شهادة أن لا إله الا الله . ولا خلاف فى أن الدخول فى دين الاسلام لا يكون الا بهذه الشهادة مع ضم شهادة أن محمداً رسول الله ، بشرط أن يعلم قائل الشهادتين معناهما بقلبه ويجزم به من غير تردد . وأما إن تلفظ بهما من غير علم بمعناهما فلا يكون قائلهما والحالة هذه مسلماً بل منافقا فى الدرك الأسفل من النار

ويدل على ذلك أمور (أحدها) انهم اتفقوا على أن معنى (أشهد) أعلم وأتيقن ، لا أجهل وأتلفظ من غير علم بمعنى لا اله الا الله

قال القارى فى شرح النخبة ص : ثم معنى «شهد» أقر من صميم قلب، وأخبر عن علم يقين « أى بمعنى لا اله الا الله » فعلى هذا متى قال العبد :أشهد أن لا اله الا الله ، جاهلا بمعناها أو غير عامل بمقتضاها ،لم يكن مقراً من صميم قلبه بهذه الشهادة ،ولا مخبراً عن علم ويقين بمؤداها ، بل يكون لا محالة كاذبا بقوله أشهد أن لا اله الا الله ، لأنها متضمنة حينئذ لقوله : آمنت بالله من غير ايمان متحقق فى قلبه

وقد نفى الله الايمان عمن هذا شأنه بمضمون قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ولأنه تعالى قد كذب المنافقين فى قولهم نشهد انك لرسول الله، لأن التصديق بمعنى هذه الشهادة لم يكن داخلا فى قلوبهم

قال البيضاوى فى تفسير آية (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) لما افتتح سبحانه بشرح حال أهل الكتاب ثلث بالقسم الثالث وهم الذين آمنوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله، لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا، ولذلك طول فى بيان خبثهم وجهلهم، وتهكم بأفعالهم، وأنزل فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار»

ثم قال فى تفسير قوله تعالى (وما هم بمؤمنين) انكار ماادعوه ونفى ماانتحلوا اثباته. ثم قال: والآية تدل على أن من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً، لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا. اه كلامه

(وثانيها) قول الامام البخارى فى صحيحه: باب قول النبى (ص) «أنا أعلمكم بالله» وان المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) قال شارحه العسقلانى: مراده الاستدلال بهذه الآية على أن الايمان بالقول وحده لا يتم

إلا بانضمام الاعتقاد اليه ، والاعتقاد فعل القلب . اه ملخصا

(وثالثها) قول النبي (ص) لأبى هريرة « رض » يا أباهريرة اذهب فمن لقيت يشهد أن لا إله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة . رواه مسلم فى صحيحه

قال شارحه النووى: وفى هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق انه لاينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ، ولا النطق دون الاعتقاد بل لابد من الجمع بينهما ، وذكر القلب للتأكيد ، والا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب . اه

والأحاديث الصحيحة بهذا المعنى كثيرة ، منها حديث مسلم أيضاً « من مات يعلم أن لاإله إلا الله دخل الجنة » فقد جعل النبي (ص) بهذا الحديث :العلم بمعنى لاإله إلاالله شرطا لدخول الجنة فلا يمكن إذاً دخول الجنة بغير ذلك ، كما أن الصلاة لا تمكن صحتها بغير وضوء لكونه شرطا لصحتها ، وكما أن اعتقاد صحتها بغير وضوء كفر لكونه مستلزماً لانكار أمر ضرورى ؛ كذلك اعتقاد دخول الجنة والنجاة من النار من غير علم بمعنى لاإله إلا الله ومن غير عمل بمقتضاها كفر مجمع عليه لاستلزامه إنكار ما علم أنه عمدة الدين وأساسه بالضرورة وبالاتفاق على أن من لم يكن عالما بمعنى الشهادتين ولا عاملا بمقتضاهما بل مناقض لهما بأفعاله أو أقواله فالجنة عليه حرام ، لأنه لا يكون والحالة هذه من أهل القبلة

وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، لأن المراد بأهل القبلة عند أهل العلم من كان عالما بالشهادتين غير منكر لما علم أنه من الدين بالضرورة مع العمل بمقتضاها من أركان الاسلام على وجه مشروع غير مبتدع .

أفبعد كل ما تقدم لا يكون من البلية تشدق بعض أدعياء الغيرة على العلم وعلى الدين بقوله : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وقد فات هذا الغبى أن زعمه هذا يكذب القرآن والحديث وإجماع المجتهدين على وجوب معرفة معانى الشهادتين وسائر العقائد الاسلامية

ثم كيف غفل أو تغافل عما هو واقع ومشاهد وهو أننا لو أخبرنا جميع البشر على اختلاف مللهم ونحلهم بأن مجرد تلفظهم بلا إله الا الله ضمان لهم بدخول الجنة لما تخلف منهم أحد عن النطق بها طمعاً فى دخول الجنة ، وذلك يستلزم نجاتهم من دخول النار ، وهو مبطل لقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية . ومبطل أيضاً لقوله تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ؟) حيث تبقى جهنم خاوية خالية تندب حظها .

بل ومبطل لآيات كثيرة بل لجميع القرآن ، وهذا لعمرى هو رفض لحقيقة الدين ، وانتزاع لقواعده من الأعناق ، وترويج للالحاد والمروق من الدين كما هو مشاهد الآن عياذاً بالله

ومما لا يخفى أن معتقد ذلك محكوم عليه شرعا بأنه من جملة

المنافقين ، لأنه لم يفكر فى معنى الشهادتين ولا فى معنى ما يتعبد به من الأقوال والأفعال ، فيكون كل ما تعبد به مردوداً عليه ، وذلك لعدم العلم المصحح للنية الشرعية المصححة للعمل والمقتضية لقبوله ، فكانت أعماله بالضرورة واقعة على غير الوجه المشروع الذى أمر به النبى ﷺ ، ولأنه جاهل بمعبوده لا يعرف من يعبد ولا من يوجه إليه عبادته .

وقد ذكر فى الفتح أن السبب الذى اقتضى حبوط أعمال المشركين هو جهلهم بمعبودهم مع أن أولئك يعرفونه ببعض أوصافه كالربوبية معرفة صحيحة بمعانيها الصحيحة غير محرفة ولا مبدلة ، ولا مبنية على قواعد اليونان ولا فيها من دين الباطنية شيء ، بخلاف كثير من الذين ينتسبون إلى الاسلام فإنهم لا يعرفونه تلك المعرفة ، وقد حكم صلوات الله عليه على من هذا شأنه بأن أعماله مردودة عليه ، وذلك فى الحديث المتفق عليه ، ولفظه « مَنْ عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ »

وهناك مصيبة أعظم من مصيبة الكافرين الأصليين ، ألا وهى اعتقاده أن هذا الدين الباطل المخترع هو بعينه الدين الذى جاء به محمد ﷺ من عند الله ، ويؤيد هذا ما ذكره الشعرانى فى كتاب العهود المحمدية الموضوع بهامش كتاب المنن ج ١ ص ٣٠ حيث قال: أخذ علينا العهد العام من رسول الله (ص) إذا لم نجد

أحداً نتعلم منه العلم الشرعى فى بلدنا أن نسافر إلى بلد فيها العلم وهى هجرة واجبة علينا لأن ما لا يتم الواجب إلا به واجب .

وهذا العهد قد أخل به كثير من الخلق وماتوا على جهلهم ، مع أن العلماء فى بلدهم ، وربما كانوا جيراناً لهم ، وقد قال العلماء من صلى جاهلاً بكيفية الوضوء والصلاة يعنى أو غيرهما من الشهادتين والعقائد الصحيحة المرضية لله لم تصح عبادته وإن وافق الصحة فيها ، ويؤيده الحديث الصحيح مرفوعاً كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد .

وتأمل من كان عنده شك لما يسأله منكر ونكير عن دينه وعن نبيه (ص) فيقول لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، كيف يضربانه بمرزبة لو ضرب بها جبل لهدم كما ورد ، تعرف أن الشارع فرض عليك معرفة مراتب العبادات ، وأنه لا يكفيك أن تتبع الناس على فعلهم من غير معرفة ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ويؤيده أيضاً قول القنوى فى حاشية البيضاوى ج ١ ص ١٠٤ توجه النفس إلى المجهول المطلق محال بالبداهة وبالاتفاق اهـ . ومعنى هذا أن العبد الذى يجهل معبوده لا يمكنه أن يتوجه بقلبه أو يوجه نفسه إلى ربه فى عبادته ودعائه والاستغاثة به والايمان به والتوكل عليه ونحو ذلك من العبادات التى مرجعها القلب ومطاوعة النفس ما دام جاهلاً بمعبوده أو معتقداً أن معبوده

لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه ولا مستوياً على عرشه ونحو ذلك من عقائد المتكلمين والفلاسفة والمنطقيين ، كما لا يصح أن يستغيث فى خلاصه من كربة دنيوية برجل مجهول لا يدرى أين مقره ولا يعلم أنه داخل العالم أو خارجه ، وذلك لأن الاستغاثة تستلزم التوجه إليه إذا كان معلوماً أنه موجود فى جهة من الجهات الست حتى يمكنه بواسطة ذلك التيقن بوجوده وقدرته على إسعافه بمطلوبه .

أما تقليد الآباء وغيرهم فى كون ذلك الرجل له وجود فى غير الجهات الست وله قدرة وهو المسمى بالملك الكريم غير أنه ليس له مكان معين ولا جهة مخصوصة ولا هو داخل العالم ولا خارجه فإن ذلك لا يفيده علماً ، بل الفطرة والعقل يحكمان بتكذيب الناقلين لوجود موجود خالق أو مخلوق على هذه الصفة ، فافهم المقصود إن كنت من ذوى الألباب .

وعلى تقدير أن يكون الناقل عالماً بذلك الملك على وجه الصواب فلا يفيد ناقله علماً أيضاً ، بل ظناً ، لأنه تقليد ومفاده الظن بالإجماع الذى نقله ابن عبد البر عن العلماء وقد حكم الله على الظن بأنه لا يغنى من الحق شيئاً

(ت ص ٣) أى حقيقة ذاته وكيفيتها ، وكذا حقيقة صفاته وأفعاله وكيفياتها فإن ذلك كله مجهول للعباد ، وإنما المعلوم ما أخبر الله به ورسوله مما ورد من ذلك فى الكتاب والسنة

فيجب على كل مكلف اعتقاد معانى ذلك حسب ما يقتضيه

الشرع واللغة وتفويض معرفة الكيفيات إلى العالم بها وهو الله وحده كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب .

ففرق رحمه الله بين أصل معنى الاستواء حيث جعله معلوماً لغة وشرعاً وبين الكيف فجعله مجهولا وحده دون الاستواء مع إقراره به وإيجاب الايمان بمعناه المعلوم ، على تقدير عود الضمير الى الاستواء ، ويحتمل عوده على الكيف وهو أقرب وهماً ، أى وجوب الايمان بالاستواء وبكيفيته متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر . هذا مذهب الامام مالك وأمثاله من السلف الصالح ، ولو كان مذهبه الجهل بأصل معنى الاستواء كما هو الحال فى الكيف كما يزعمه المتكلمون كيف يمكنه حينئذ التفريق بينهما بأن يحكم على الأول بأنه معلوم ، وعلى الثانى بأنه مجهول .

والعجب كل العجب ممن يزعم أن مذهب الامام مالك وغيره من السلف هو الجهل بمعنى أصل الاستواء بعد تصريحه بأن معنى الاستواء (معلوم) وأن الكيف وحده هو (المجهول) فقل لى بربك هل جاء فى اللغة أو الشرع أن معنى كلمة (معلوم) هو بعينه يفيد معنى كلمة (مجهول) ولو جوزنا ذلك لزمنا الجمع بين المتضادين المتناقضين فى اللغة أو الشرع ، وبذلك نكون قد حكمنا على تعطيل عقولنا عياذاً بالله .

قال ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٢٥ العبادة فى اللغة من

الذلة وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . انتهى مختصراً . قال البيضاوى فى تفسير (إيَّاك نعبد) والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام والدلالة على الحصر ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه : معناه (أى معنى اياك نعبد) نعبدك ولا نعبد غيرك ، انتهى .

ومن هذا يعلم أن المقصود من قول العبد (اياك نعبد) اعطائه العهد لربه بأنه يحبه كمال المحبة ويخضع له كمال الخضوع ، ويخافه كمال الخوف ، ولا يحب غيره إلاَّ بالتبع لمحبته وامتثالا لأمره وابتغاء لمرضاته تعالى .

وكذلك يتضمن قوله ذلك :عقد الميثاق مع الله تعالى بأنه لا يتذلل لغيره ولا يخاف سواه، وهذه العهود والمواثيق كما أنها مستفادة من معنى(اياك نعبد)فهى أيضاً مستفادة من معنى(شهادة أن لا اله الا الله) وعلى هذا فمتى قال العبد هاتين الجملتين ولم يكن متصفاً بما ذكر نفياً وإثباتاً فهو كاذب فى النفى والإثبات المذكورين فى البيان المار ذكره لمعنى(إياك نعبد) و (لا إله الا الله) قال العسقلانى فى شرح البخارى ج ١١ ص ١٩٩ ناقلا عن بعض المحققين مانصه :

من كان عبداً لهواه لم يصدق فى حقه (إياك نعبد) انتهى .

وقد ذكر فى راموز الأحاديث ج ٢ ص ٤٨١ حديث : لايزال قول لا إله إلا الله يدفع سخط الله عن العباد حتى اذا نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون مانقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم .

قالوا : لاإله إلا الله ، عند ذلك قال الله لهم : كذبتم. [١] رواه الحكيم عن أنس . قال الشارح ج٥ ص١٤٩ في شرح عبارة « قال كذبتم » فيما قلتم

وفي حديث الأصفهاني عن أنس «رض» أن رسول الله «ص» قال «لاتزال لاإله إلاالله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها »قالوا يارسول الله وما الاستخفاف بحقها ؟ قال نظر العبد بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير[٢]

وقال أيضاً في ج٥ : ١٩، تحت حديث « لاتزال لا إله إلا الله تحجب »أي ترد وتمنع«غضب الرب عن الناس في الدنيا والآخرة إذا عظم شأنها »ثم قال : إن المؤمن إذا صلح دينه لا يبالي بما فاته من دنياه ، قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)

قال : ومن آفات القلب الخوف من أمر الدنيا ، وهو التوجع والتأسف على مافات من النعم الدنيوية

ثم قال في شرح حديث « فاذا قالوها » أي كلمة الشهادة على عدم صدقها ، قيل كذبتم لستم من أهلها على صدق ورشد ، ثم قال: رواه ابن النجار عن زيد بن أرقم اه

ثم ذكر بهذا المعنى أحاديث بطرق متعددة

(١ و ٢) كلاهما ضعيف

ويؤيد هذه الأحاديث من حيث المعنى آية (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين) وكذلك يؤيدها اشتراط النبي (ص) الاخلاص فى قولها والعلم بمعناها كما جاء فى حديث «شفاعتى لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه» أخرجه البخارى ، وحديث « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» رواه احمد ، ذكره فى راموز الأحاديث، ونقل شارحه الطيبى أنه جعله كقوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) قال الطيبى أى حقق ماأورده قولا بما تحراه ، وبهذا التقرير يندفع عن ظاهر الأخبار «منع دخول كل من نطق بالشهادتين النار، وان كان من الفجار»

ثم ذكر تتمة الحديث بقوله :قالوا يارسول الله فما إخلاصها ؟ قال :أن تحجزكم — أى تمنعكم — عن كل ماحرم الله عليكم

ثم قال : قال الغزالى معنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغيره ،فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ،ومقصود قلبه ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لمنعها له عن مشاهدة محبوبه ، وموته خلاصه من السجن وقدوم على محبوبه اه يؤيد قوله هذا حديث « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » إشارة الى أن الكافر متمتع بآلهته التى هى تنعمه بزوجته وولده ، وتفاخره بماله ورياسته التى هى روحه من الدنيا ومقصوده الأقصى وغير ذلك من معبوداته

الباطلة ،مثل الوجود المطلق والوجود البسيط الكلي الذى يسمونه واجباً ، والحقيقة أنه معدوم لا يمكن أن يكون له وجود أصلا ، وأما الله سبحانه فمحبوبه بالتبع أى يحبه لأجل إعطائه تلك الأشياء التى اتخذها آلهة من دونه ، فلم تكن الدنيا مانعة له عن نيل محبوباته الأصلية ،لأنها فى متناول يده ، فلذلك كانت الدنيا جنة له

إذا علم ذلك فنقول : لايمكن التحقق بمحبة الله التى بها يحصل الايمان والاخلاص من الشرك إلا بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته ، قال الغزالى فى الاحياء : فأول ماينبغى أن يتحقق أنه لايتصور محبة إلا بعد معرفة وادراك ، اذ لا يحب الانسان الا مايعرفه ، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية المدرك اه

وقال شيخ زاده فى حاشية البيضاوى : وأكثر المتكلمين أنكروا محبة الله تعالى وأولوها ، وهذا القول ضعيف اه

وقد رد عليهم الغزالى فى الاحياء بعد أن أقام الأدلة على ثبوت محبة الله وتوقف طاعته عليها حيث قال : فلا ينكر اذاً محبة الله تعالى الا من قعد به القصور فى درجة البهائم ، فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا ، اه

وقال فيه أيضاً : اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله (ص) فرض ،وكيف يفرض ما لا وجود له ، وكيف

يفسر الحب بالطاعة ، والطاعة تبع الحب وثمرته ، فلابد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب . ويدل على إثبات المحب لله تعالى قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) وقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حباً لله) وقد جعل رسول الله (ص) الحب لله من شروط الايمان فى أخبار كثيرة . اه باختصار

ولا ريب أن المحبة الذاتية عبادة وتأله لمن تعلقت به لغة وشرعا أما شرعا فلقوله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)

قال الألوسى فى تفسيره (ج ٢ ص ١٩٩) أى أفرأيت الذى جعل هواه إلهاً لنفسه ، والهوى بمعنى المهوى مثله فى قوله :

هواى مع الركب اليمانيين مصعد

وحكمها عام وفيها من ذم اتباع هوى النفس ما فيها اه ملخصاً

ولولا أن المحبوب مطلقا ـ بحق أو باطل ـ يسمى إلهاً لغة وشرعا لما أطلق عليه سبحانه اسم الاله

وأما لغة فقد قال الجوهرى فى الصحاح (ج ٢ ص ٤٢١) أله إلهة أى عبد عبادة . اه

وبهذا يثبت أن الاله معناه المعبود ، ولذلك اتفق عليه عامة المفسرين . قال فى الصحاح : ومعنى تيم الله : عبد الله ، وأصله من قولهم : تيمه الحب أى عبده وذلله فهو متيم ، ويقال أيضا : تامته فلانة ، قال لقيط بن زرارة :

تامت فؤادك لا يحزنك ما صنعت إحدى نساء بنى ذهل بن شيبان

اه (ج ٢ ص ٢٦٦) فقوله : وأصله من قولهم تيمه الحب الخ معناه أن العبد هو الذى ذلله الحب لمعبوده ومحبوبه الأصليين ، فان كان ذلك غير الله فهو إلهه الباطل لصرفه الحب الذاتى له ، واستلزام ذلك اعتقاده استحقاق المحبة لذاته ، وان كان تذلله له وانقياده إلى طاعته وحبه له اضطراريا ، وقد قال فى القاموس (ج ٤ ص ٨٥) التيم العبد ، وتامته المرأة والعشق والحب عبده وذلله . اه

فأفاد بهذا أن العبادة فى اللغة التى نزل بها القرآن هى تذلل الحب ، ولذلك جعل سبحانه هوى النفس أى مهويها ومحبوبها إلهاً لها ، لان الهوى معناه الحب كما قال فى الصحاح « ج ٢ ص ٥٦٨ » وهوى بالكسر أى أحب ، اه

فثبت بما نقلناه أن من جملة معنى العبادة « المحبة » لان الله قد شرعها لعباده وأثبتها لنفسه ، وكل ما شرعه فهو عبادة بل هى أساس أنواع العبادات كلها ، لأنها هى التى ينشأ عنها الذل التام والخضوع الكامل ، والتعلق القلبى الذى يجذب العبد الى محبوبه الأصلى بأقوى جاذب ، ولذلك لا يستحقه أحد غير الله تعالى

وقد أمر تعالى بهذه المحبة بنحو خمسين آية من القرآن وفى ضمنها النهى عن صرفها لغيره تعالى كما يستفاد ذلك من نحو آية (أمر ألا تعبدوا الا اياه) أى لا تحبوا سواه نهياً شاملا لجميع أنواع العبادات من التذلل والحب والخوف والرجاء والتوكل والطاعة ،

وامتثال الأوامر واجتناب النواهي

فتحصل من مجموع ما قدمناه أن كل محبوب لذاته لا لله فهو معبود باطل وإلا لما بدء يجب عليه الاقلاع عن حبه من قلبه ووضع حب الله في قلبه ، لكي يكون العبد صادق الايمان بمطابقة قوله لقلبه . وحينئذ يجب أن يحب أنبياء الله وأهل طاعته امتثالا لأمره تعالى بذلك لا لذواتهم ولا لأجل أن يشفعوا له أو يخلصوه من كربات الآخرة بالشفاعة الثابتة ؛ فان هذه الشفاعة لا تكون الا بأمر الله . وأما تخليصه من الكربات فلا ينسب الى الشفعاء بل الى الله ومحض جوده وكرمه ورحمته بأسباب أعظمها محبة الله وعبادته وحده

قال الغزالي في الاحياء «ج ٤ ص ٢٥٢» أما بعد فان المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها ، وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها ، وأما محبة الله فقد عز الايمان بها ، حتى أنكر العلماء امكانها اهـ باختصار

وأقول : يلزم هؤلاء المنكرين من المتكلمين وبعض المفسرين انكار نحو مائة آية دالة على وجوب محبة الله أو تأويلها وتحريفها

بصرفها الى معان باطلة يتبرأ منها العقل واللغة ، كما صنعوا نظير ذلك فى آيات الصفات وأحاديثها ، ونزلوها على معان منطقيـــة وفلسفية وعقائد اعتزالية جعلوها عقائد محمديه ، والله حسيبهم على ما صنعوا من هذه الأباطيل

يؤيد ذلك ماقاله العلامه صديق حسن خان البخارى فى كتابه « نزل الأبرار ص ٤١ » مانصه :

وفى هذه الأحاديث ـ يعنى أحاديث النزول ـ دلالة على صفة النزول ، وفى إثباتها كتاب مفرد لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى مجلد لطيف (١) . والحق الصراح فى مسائل الصفات الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة إجراؤها على ظواهرها بدون تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وعليه درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الاربعه المجتهدين وجمهور المحدثين . والتأويل لها وصرفها عن ظواهرها فرع من التكذيب ونوع من الانكار وقسم من الجحود ، وان وقع عليه من المتأخرين الجود اهـ كلامه رحمه الله وجزاه خير الجزاء

(ت) قال تعالى مخاطباً لنبيه محمد (ص) (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً الا ما شاء الله) وفى آية أخرى (قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا) فكيف يملكها غيره صلى الله عليه وسلم

---

١) وقد طبع فى مطبعة الامام بمصر سنة ١٩٤٩

ممن هو دونه ؟ أم كيف يقال ان فلانا قطب يتصرف فى الملك والملكوت حياً وميتاً ، أو أنه لا تنزل رحمة ولا يعطى الله عطاء إلا بواسطته كما زعم ذلك احد المتطفلين على العلم والدين ، المسمى يوسف النبهانى فى عدة مواضع من كتبه المحشوة إطراءاً للنبي ﷺ دونه اطراء النصارى لعيسى بن مريم ، حيث قد ترقى به الغلو فجعله ﷺ هو الحى القيوم الجامع بين الربوبية والعبودية

فمن ذلك ما كتبه على غلاف الرسالة المسماه « طيبة الغراء » وهذا نصه :

ما أرسل الرحمن أو يرسل   من رحمة تصعد أو تنزل

فى ملكوت الله أو ملكه   الا وطه المصطفى عبده

واسطة فيها وأصل لها

فعذ به من كل ما تشتكى   ولذ به من كل ما ترتجى

الى آخر ماهناك من كفر صراح نربأ بالقلم أن يجرى به والله المستعان

ومن ذلك قول القائل فى حق النبى ﷺ «وخزائن رحمتك» ومعناه ما قاله شارحه الفاسى ص ٢٥١ من قوله :

وهو ﷺ خزائن رحمة الله الموضوعة فى العالم ، فلا يرحم أحد الا على يديه وبما خرج له من خزائنه . ويرحم الله الشيخ أبا الحسن محمد البكرى الصديق حيث يقول :

ما أرسل الرحمن أو يرسل ـ الى آخر الأبيات المتقدم ذكرها

ونقلها عن بعض كتب النبهانى مفسراً بها قول ذلك القائل :
«وخزائن رحمتك» ثم قال :

وجمع الخزائن تبعاً لقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) وقوله (أم عندهم خزائن رحمة ربك) وجمعت فى الآيتين لتنوعها وكثرتها وما فيها من الأموال والأرزاق الحسية والمعنويه . اه

وعلى حسب زعمه الباطل واعتقاده العاطل ، يلزمه فى كل تلاوة للآيتين المذكورتين الافتراء على الله بأنه تعالى يخبر عباده بأن محمداً ﷺ هو خزائن رحمته الموضوعه فى العالم

وحاصل المعنى للآيتين على زعمه أن الله يُعلم المشركين بأنهم لايملكون ما يملكه محمد (ص) من خزائن رحمته ، وليس عندهم ما عند محمد (ص) من التصرف برحمة الله المخزونة عنده ، والتى يرحم بها محمد (ص) من يشاء ويمنعها عمن يشاء

وتحقيقا لهذا المعنى أيدوه بقولهم :

فعذ به من كل ماتشتكى   ولذ به فى كل ماترتجى

وهذه أمور مختصة بالرب وحده حسبما نطقت به الآيات والأحاديث ، فلا شك أن الله تعالى يمنع رحمته عمن يعتقد ذلك ، معاملة له بما يعتقد ، فحيث اعتقد أنه تعالى لا يرحم أحداً الا بواسطة محمد (ص) فقد لزمه تكذيب آية (يرحم من يشاء) (وإن يردك بخير فلا راد لفضله)

ومن جنس هذا الغلو ماذكره بعض الغلاة فى المواهب (ج ١ ص٢)واصفاً له صلى الله عليه وسلم بصفات الربوبية ، وبما ليس له منها ذرة واحدة حيث قال فى حقه عليه السلام « مورد الحقائق الأزلية ومصدرها ، وجامع جوامع مفرداتها . بيت الله المعمور ، مدة مداد نقطة الأكوان المفيض من بحر مدد الوفا على القائل حيث خاطب ذاته الأقدسية بالمنح الأنفسية فقال :

فأنت رسول الله أعظم كائن   عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه

فؤادك بيت الله دار علومه   منحت بفيض الفضل كل مفضل

فكل له فضل به منك يفضل

فيامدة الامداد نقطة خطه   ويا ذروة الاطلاق إذ يتسلسل

اه باختصار

ولا ريب أن هذه أوصاف مستحيل أن يتصف بها محمد أو غيره من الخلق ، فمن زعم إمكان ذلك فعليه أن يذكر لنا آية من القرآن أو حديثاً من الكتب الصحيحة يصرح بمنطوق ما أفصح به هؤلاء الغلاة من وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته ، وان يجدوا الى ذلك سبيلا أبداً

ولذلك يلزمهم بسبب وصفهم له بغير صفاته ـ كما قال القاضى عياض فى الشفا ـ التكذيب به ، ويلزمهم أيضا اختراع محمد موصوف بهذه الصفات ، وهذا أمر موهوم يحسبونه موجوداً وهو

معدوم مستحيل الوجود ، إذ ظنوا أنه عين الموجود الحقيق الذى هو فى الواقع غير متصف بهذه الصفات ، فيلزم ـ نظراً للحقيقة ـ أن يكون محمد الحقيـق معدوما ، وأن ينسب أسماء محمد الحقيـق وأحواله وسيرته وولادته وشؤونه كلها إلى ذلك المعدوم المخترع. ونحت هذه النسبة من الجنايات العظيمة مالا يحصى

منها أن يكون إقرارهم بقولهم : أشهـد أن محمداً رسول الله ـ منصرفا الى ذلك الموهوم المعدوم ، فيكونون مقرين مؤمنين فى كل شهادة بأن هذا المعدوم مرسـل من عند الله بدينهم الباطل الذى يعتقدونه دين محمد الحق ، ومرسل أيضا بدين محمد الحق الذى هو غير دينهم ـ نظراً للحقيقة التى لا يعتقدونها ـ فانهم قد صنعوا هم وأمثالهم فى حق الله وصفاته نظير ذلك التبديل فيما ورد عن الله فيما يتعلق بشؤون الله وأسمائه وذاته وصفاته سبحانه وأفعـاله. فلزمهم فى الله مالزمهم فى النبى محمـد ﷺ وأعظم منه بكثير ، ولزم ذلك كله كل مـن دان بدينهم وإن لم يشعر بذلك كله ، لأن الجهل بذلك لا يكون له عذر باجماع المجتهدين ، وعلى حسب ماحكم الله به فى محكم كتابه ، فعليه أن يتوب المجرم من هؤلاء من جميع مالزمه من ذلك فى سالف عمره

وهذا كله مترتب على كون وصف الشىء بغير صفته يلزم منه أن يكون هذا الشىء غير الذى وصفوه بغير صفته ، وهـذا

أمر ضروري قطعي لا شبهة فيه البتة ، كما إذا وصف مالك العبد الأبيض بأن عبده أسود فلاشك ولا ريب أن تبديل وصفه بالأسود يلزم منه أن يكون هذا العبد الأسود الذي أقر مالكه بأنه موجود عنده - وهو في الحقيقة غير موجود - غير العبد الأبيض الموجود عند مالكه ومملوك له في الواقع . وما أوجب هذه الغيرية إلا وصفه بالأسود دون الابيض ، ولا سيما إذا لم يوجد عنده عبد آخر غير هذا الأبيض ، فانه حينئذ يلزم جعل ذلك الاسود المعدوم عين ذلك الابيض الموجود ، ويترتب على هذا الجعل إسناد كل ما لذلك الابيض من الذات والصفات والاسماء والافعال إلى ذلك الاسود المعدوم .

وهذه جنايات وافتراءات مترتبة على تبديل صفة واحدة في حق ذلك المالك للعبد المذكور وحق من صدقه ووافقه على تبديل صفة واحدة ، ومن باب أولى أن يلزم مثل تلك اللوازم ، وتحمل تلك الجنايات في حق من يبدل صفة محمد ويصفه بصفات الربوبية أو بصفات غير صفاته مما يمتنع وصفه بها شرعا وعقلا كما فعل أولئك الغلاة .

قال شيخ الاسلام في منهاج السنة (ج ١ ص ٢٢)

القائلون بهذه الامور منهم من ينسب الى أحد هؤلاء ما لا تجوز نسبته إلى أحد من البشر مثل دعوى بعضهم أن الغوث

أو القطب هو الذى يمد أهل الارض فى هداهم ونصرهم ورزقهم ، وأن هذا لا يصل إلى أحد إلا بواسطة نزوله على ذلك الشخص . وهذا باطل باجماع المسلمين ، وهو من جنس قول النصارى فى البابا . وكذلك ما يدعيه بعضهم من أن الواحد من هؤلاء يعلم كل ولى لله ، ونحو ذلك من المقالات الباطلة التى تتضمن أن الواحد من البشر يشارك الله فى بعض خصائصه ، مثل انه بكل شىء عليم أو على كل شىء قدير ، ونحو ذلك كما يقول بعضهم فى النبى ﷺ وفى شيوخه ان علم أحدهم ينطبق على علم الله ، وقدرته منطبقة على قدرة الله ، فيعلم مايعلمه الله ، ويقدر على مايقدر الله عليه

فهذه المقالات من جنس قول النصارى ، وهى باطلة باجماع المسلمين .اه مختصراً .

فهل هذه الاقوال الباطلة وأمثالها الكثيرة إلا تكذيب للآيتين المتقدم ذكرهما ، ونظائرهما من الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة الصريحة فى إبطال أمثال هذه الدعاوى الشركية التى فاه بها النبهانى وأمثاله ، فنقضوا بهـا قواعد الدين الاسلامى من حيث يشعرون أو لا يشعرون

والعجب العجاب من قوم فى كتابهم تلك الصراحة الواضحة المستفادة من أمثال الآيات التى مر ذكر بعضها منادية بأعلى صوت وأجهره بأن محمداً ﷺ ـ وغيره من المخلوقين بطريق الأولى ـ لا يملكون نفعاً ولا ضراً . ثم يصدمون هذه النصوص القاطعه

بأنواع الصدمات والمناقضات من أمثال ماتقدم نقله عن النبهانى وغيره من مخترعاتهم السخيفة الباطلة التى يتعالى الله عنها ويتقدس هو وأنبياءه وشرائعه ثم هم مع هذه الفظائع يزعمون أنهم مؤمنون بالكتاب (تلك أمانيهم) وما كل مايتمنى المرء يدركه. قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين)

قال العز ابن عبد السلام فى رسالته التى أنكر فيها الأبدال والغوث مانصه : وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث والأوتاد والأقطاب والأبدال والنجباء ، فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله تعالى ، ولا هى مأثورة عن النبى ﷺ لا باسناد صحيح ولاضعيف محتمل ، أما الأبدال فقد روى فيهم حديث شامى منقطع الاسناد ، فنسأل المدعى من كان القطب فى زمن آدم ونوح وابراهيم ، وقبل محمد ﷺ حين كان عامة الناس كفرة

قال تعالى : (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا) أى كان مؤمناً وحده

وفى صحيح البخارى أنه (أى ابراهيم ﷺ) قال لزوجه سارة : ليس على الأرض اليوم مؤمن غيرى وغيرك . وبأى حديث مشهور فى الكتب الستة وبأى إجماع متواتر من القرون الثلاثة ثبت وجود هؤلاء حتى نعتقده (قل هاتوا برهانكم

إن كنتم صادقين) فان لم يأتوا برهانا فهم الكاذبون بلا ريب . وأما الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره تعالى فمن زعم أن أهل الارض يرفعون حوائجهم التى يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك اهـ

وقد زعم ذلك بعض الصوفية من المتاخرين .

ثم قال ص ١٠ من تلك الرسالة : فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعانى باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف مثل تفسير بعضهم الغوث هو الذى يغيث به أهل الأرض فى رزقهم ونصرهم نظير ماتقوله النصارى فى البابا وهو معدوم العين والأثر شبيه بحال المنتظر الذى دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة اهـ

وكلامه هذا صريح فى الحكم على من يعتقد وجود القطب ونحوه بالشرك والضلال وذلك لأنه من جملة عبدة الطاغوت قائل بإلهين اثنين وان لم يصرح بذلك بلسانه لأن القطب المزعوم معناه بنظر الشرع رب وإله باطل واعتقاد ذلك مبطل لشهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

(ت ص ٦) ماذكره من النفي والاثبات هو مضمون معنى لا إله إلا الله لأن الاله معناه المعبود باتفاق المفسرين والمعبود مشتق من العبادة فلا جرم يكون معناها داخلا في معنى المعبود ، وقد تقدم أن العبادة هي كمال المحبة والخضوع والخوف ، وسوف يأتي عن الرازي أن العبادة هي الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير .

إذا فهم ذلك جيداً علم قطعاً أن المعبود معناه المحبوب المخضوع له المخوف منه الذي تفعل العبادة له لغرض تعظيمه ولأجل كماله وكبريائه وانفراده باستحقاق العبادة لذاته

قال الشيخ اسماعيل حقي في تفسيره روح البيان (ج ١ ص ٢٧٠) تحت قوله تعالى (لا إله إلا هو) والمعنى أنه المستحق للعبادة لاغير .

وقال أيضاً (ج ، ص ١٢) في تفسير (إياك نعبد) أي نخصك بالعبادة والعبادة غاية الخضوع والتذلل اه

ومنه يعلم أن من عبد غيره تعالى بالتعظيم أو المحبة أو نحوهما فقد اتخذ ذلك الغير إلهاً بسبب عبادته له على مايحكم به الشرع واللغة ، وان لم ينطق فاعل ذلك يكون ذلك الغير إلهاً

قال في الصحاح : أله إلهة عبد عبادة اه يريد أن أله وعبد معناهما واحد ومقتضاه أن الشيء الذي علق العبد عبادته به يكون لامحالة إلها ومعبوداً له .

ويدل على ذلك دلالة واضحة قوله تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال فى روح المعانى (ج ٢١ ص ١٩٩) أى أرأيت الذى جعل هواه إلها لنفسه ثم قال فالآية شاملة لمن عبد غير الله حسب هواه ولمن أطاع الهوى وسائر المعاصى . ثم ساق حديث الطبرانى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله تعالى من هوى متبع » ثم قال ولا يكاد يسلم على هذا من عموم الآية إلا من اتبع ما اختاره الله لعباده وشرعه سبحانه لهم فى كل ما يأتى ويذر انتهى مختصراً .

فان قيل ان التخلص من عبادة الهوى لاسيما عبادة المال وحب الصور الجميلة لايكاد يتمكن منه أحد ، لأن طبيعة النفوس مجبولة على هذه العبادات بأنواعها وإزالة هذه الجبلة حرج فى الدين .

أجيب بما قال الحافظ فى الفتح (ج ١١ ص ٢٠١) تحت حديث البخارى « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » مانصه : أى أن الله يقبل التوبة من الحريص كما يقبلها من غيره ، وفيه إشارة إلى ذم الاستكثار من جمع المال وتمنى ذلك والحرص عليه .

قال الطيبي : يمكن أن يكون معناه أن الآدمي مجبول على حب المال وأنه لايشبع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى ووفقه لازالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ماهم ، وان ازالتها ممكنـــة بتوفيق الله وتسديده ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ففي اضافة الشح الى النفس دلالة على أنه غريزه فيها . وفى قوله (ومن يوق) اشارة الى امكان ازالة ذلك ، ثم رتب الفلاح على ذلك فوقع قوله (ويتوب الله) الخ موقع الاستدراك أى ان ذلك العسر الصعب يمكن أن يكون يسيراً على يسره الله تعالى عليه اهـ مختصراً

قلت : يؤيد تقرير الطيبي قول النبي ﷺ لمعاذ « لقد سألت عن عظيم ، وأنه ليسير على من يسره الله عليه ، وبالله التوفيق .

فان قيل أن الشيخ محمد عبده قد قال فى تفسير الفاتحة (ص ٤٠) مانصه : تدل الاساليب الصحيحه والاستعمال العربى الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهـــاية ناشىء عن استشعار القلب عظمة المعبود لايعرف منشأها واعتقاده بسلطة له لايدرك كنهها وماهيتها وقصارى مايعرفه منها انها محيطة به لكنها فوق ادراكه ، فمن ينتهى الى أقصى الذل لملك من الملوك لايقال انه عبده وان قبل مواطىء أقدامه مادام سبب الذل والخضوع

معروفاً وهو الخوف من ظلمه المعهود ، والرجاء بكرمه المحدود
اه مختصراً

قلت ان جميع ماذكره الشيخ فى تعريف العبادة من القيود والشروط وأنه لايقال لمن انتهى إلى أقصى الذل لملك مخلوق أنه عبده باطل مردود عليه من قبل أهل اللغة والشرع ، لأننا قد قدمنا أقوالهم ، ولم يذكر أحد منهم ما أتى به الشيخ من عنده من تلك القيود التى ماأنزل الله بها من سلطان . الأمر الذى يقضى بأن الشيخ لم يحقق معنى العبادة لغة وشرعاً فلا يغتر بكلامه هذا ولايعبأ به إلا جاهل باللغة والشرع .

(ث) قال الرازى (ج ٧ ص ٢٢٨) قوله (فاعبد الله مخلصاً له الدين) صريح فى أنه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص وتأكد هذا بقوله (وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) انتهى .

وقال أيضا (ج ١ ص ١٨٨) فى تفسير (إياك نعبد) العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤتى به لغرض تعظيم الغير ، واعلم أن قولك — إياك نعبد — معناه لاأعبد أحداً سواك اه مختصراً .

فيكون معنى (إياك نعبد) لا أفعل فعلا دينياً لغرض تعظيم غير الله ، وعليه فمتى كان غرضه من العبادة غرضاً آخر غير إجلاله تعالى لم تكن هذه العبادة بهذا القصد عبادة لله تعالى ،

بل تكون بحكم الشرع عبادة لذلك الغرض الذى بعثه على هـذه العبادة ، فيلزمه الكذب الصريح فى قوله (إياك نعبد) فى هـذه الحالة ، وفى اعتقاده أن الله يقبل هـذه العبادة التى يكذب فيها صاحبها فى خطابه لربه ، وذلك من أعظم الجنايات

وقد جاء فى الحديث « ان الله تعالى لايقبل من العمل إلا ماكان له خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبو داود والنسائى باسناد جيد كما فى الترغيب (ج ١ ص ٩)

قال شيخ الاسلام : تواترت الأحاديث بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله . ومن شهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله لكن جاءت مقيدة بالاخلاص واليقين والموت عليها وكلها مقيدة بالقيود والاثقال وأكثر من يقولها لايعرف الاخلاص ولا اليقين وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم ، وهم أقرب الناس من قوله تعالى حاكيا عن المشركين (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فانه إذاقالها باخلاص ويقين ومات على ذلك امتنع أن تكون سيئاته راجحة على حسناته ، بل كانت حسناته راجحة فيحرم على النار ، لأنه اذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن فى هذا الحال مصراً على ذنب ، فان كمال الاخلاص ويقينه موجب أن يكون الله أحب اليه من كل شىء سواه ، وأخوف عنده من كل

شيء ، فلايبقى فى قلبه يومئذ إرادة لما حرمه الله ، ولا كراهة لما أمر الله ، فهذا هو الذى يحرم على النار وان كان له ذنوب قبل ذلك فهذا الايمان وهذه التوبة وهذا الاخلاص وهذه المحبة ، وهـذا اليقين والكراهة لايتركن له ذنباً إلامحي عنه كما يمحق النهار الليل فمن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصلا فيغفر له ويحرم على النار ، وان قالها على وجه خلص به من الشرك الاكبر دون الاصغر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنات لايقـاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات كما فى حديث البطاقه اه

قال الرازى (ج ٧ ص ٢٢٨) وأمابيـان الوجوه المنافية للاخلاص فهى الوجود الداعية للشريك وهى أقسام (أحدها) أن يكون للرياء والسمعة فيه دخل

(ت ص ه) قال الرازى فى تفسيره (ج ص ١٩٥) العبادة لها ثلاث درجات (الاولى) أن يعبد الله طمعاً فى الثواب أوهرباً من العقاب وهذه الدرجة نازلة ساقطة جداً لأن معبوده فى الحقيقة هو ذلك الثواب وقد جعل الحق وسيلة إلى نيل المطلوب ، ومن جعل المطلوب بالذات شيئاً من أحوال الخلق وجعل الحق وسيلة إليه فهو خسيس جداً

(الثانية) أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته أوبقبول تكاليفه ، أو بالانتساب إليه ، وهـذه الدرجة أعلى إلا انها

ليست كاملة لأن المقصود بالذات غير الله تعالى

(الثالثة) أن يعبد الله لكونه إلها وخالقاً ولكونه عبداً له والالهية توجب الهيبة والعزة ، والعبودية توجب الخضوع والذلة وهذا هو المسمي بالعبودية وإليه الاشارة بقول المصلى (أصلى لله) فانه لو قال أصلى لثواب الله أولاهرب من عقابه فسدت صلاته اه ملخصاً

(قلت) وكذلك تفسد صلاته وجميع عباداته فيما إذا قصد بها التخلص من البلايا والمحن فى الدنيا والآخرة أوللحصول على خيراتهما بحيث يكون الباعث الأصلى له على العبادة هو التخلص أوالحصول المذكورين والمقصودين بالذات ، ويكون أداء حق الرب بالتبع ، ولوقال معذلك القصد بلسانه نويت أصلى أوأعبد له ، لأن العبرة عند الله بالنيات والمقاصد كما يفيده حديث « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » ولأنه قد انخرط فى سلك الذين يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم حيث زعم بقوله (أصلى لله) أن عبادته من قبيل الدرجة الثالثة الآنفة الذكر ، وهى فى الحقيقة من قبيل الدرجة الأولى النازلة الساقطة

ولا ينافى ماذكره الرازى مشروعية الخوف من العقاب والطمع فى الجنة وسؤال العبد فى أدعيته الجنة والنجاة من النار ، لأن كلامه ليس فى هذا المتفق على مشروعيته والتكليف به كتاباً وسنة وإجماعاً ، وإنما المقصود أن لاتكون عبادته معلولة بذلك

بأن لايكون قصده الأصلى منها الفوز بالجنة مثلا ، لأن العبادة حق الله على العباد كما صرح به النبي ﷺ في حديث معاذ بقوله ﷺ « حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً » فكانت بمنزلة الدين ودين الله أحق بالوفاء من دين خلقه كما قال النبي ﷺ فى حديث البخارى « فدين الله أحق بالقضاء » وهذا صريح فى كون النبي ﷺ جعل عبادة الحج ديناً على عباده ، وكذلك غيرها من العبادات إذ لافرق

وكما لايجوز لمن أراد وفاء دين مخلوق أن يقول له أوفيك هذا الدين لأجل أن تكرمنى أوتدفع عنى بلاء تقدر على دفعه ، فكذلك لايجوز للعبد أن يقول لربه ذلك أونحوه أو ينوى معناه بقلبه ، وهذا تقريب للعقول القاصرة ، وأما أدلة الحكم المذكور فمتوفرة فى الكتاب والسنة فليرجع إليهما

(ت ص٦) استدلال المصنف على هذا الحكم بآية (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً)هو الذى يقتضيه كلام البغوى وغيره من المفسرين .قال البغوى فى تفسيره (ج ١ص ١١٦) « أنداداً » أى أصناماً (يحبونهم كحب الله) أى يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله

وقال الزجاج يحبون الأصنام كما تحبون الله لأنهم أشركوها مع الله ، فسووا بين الله وبين أوثانهم فى المحبة (والذين آمنوا أشد حباً لله) قال أى أثبت وأدوم على حبه من المشركين ، لأنهم لايختارون على الله ماسواه ، انتهى ملخصاً

قال فى الكافية :

والشرك فهو توسل مقصوده الز — لفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن — بشر ومن قبر ومن أوثان
والشرك فاحذره فشرك ظاهر — ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيـ — ـا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه — ويحبه كمحبة الديان

وقال فى الاقناع قال شيخ الاسلام : من دعا عليا بن أبى طالب فهو كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر ، وقال أيضا من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً اهـ

قال الجوهرى فى الصحاح (ج ١ ص ٢٢٣) والند بالكسر المثل والنظير

قال فى تفسير الجلالين (أنداداً) شركاء فى العبادة اهـ ج ١ ص ١٤

قال الحافظ العسقلانى فى شرح النخبة (ص ٤٦) والتشبيه لايشترط فيه المساواة من كل جهة اهـ

قال القنوى فى تفسير آية (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) فى حاشية البيضاوى (ج ٢ ص ٣٢١) ان التشبيه فى أصل المحبة ولأن جملة — يحبونهم — استئناف فى معنى التعليل لاتخاذهم الأنداد لله تعالى ، والصريح فى الآية تسويتهم إياه تعالى فى المحبة والطاعة اهـ باختصار

أقول قد اتفق علماء اللغة والتفسير على أن الند هو المثل ، ومنه يعلم بطلان مافسر به البيضاوى الند بالمساوى فى الذات والصفات ، ولعل ذلك ناشىء من توهمه ان المماثلة تقتضى المساواة بين المثلين من كل وجه ، وقد أبطل الحافظ هذا التوهم بقوله المتقدم وماقاله الحافظ هو الحق الذى لايصح غيره ، والأدلة عليه كثيرة وماقاله القنوى من أن التشبيه هو فى أصل المحبة فهو الذى صححه القرطبي حيث قال فى تفسيره (ج ١ ص ٢٠٤) وقال ابن كيسان والزجاج معنى (يحبونهم كحب الله) أى يسوون بين الأصنام وبين الله تعالى فى المحبة قال أبواسحاق وهذا القول الصحيح قال القرطبي والدليل على صحته آية (والذين آمنوا أشد حباً لله) اهـ

وعلى هذا يستفاد مما قالوه فى تفسير هذه الآية الحكم على أن كل من تساوى حبه لمخلوق بالذات مع حب الله تعالى فقد اتخذ ذلك المخلوق نداً باشراكه له مع الله فى المحبة فعلا ، والعبادة والتعظيم لزوماً وحكمه الخلود فى النار ، يؤيد هذا مانقله شيخ زادة وأقره فى حاشية البيضاوى (ج ١ ص ٤٧٥) حيث قال كل شىء شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك نداً لله تعالى ويدل عليه قوله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)

أى بعبادته

روى مسلم فى صحيحه عن أبى مالك الاشجعى عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال « من قال لا إله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » قال الشيخ عبد الرحمن

ابن حسن قال شيخنا رحمه الله تعالى : وهذا من أعظم مايبين معنى لا إله إلا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للمال والدم بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده حتى يضيف إلى ذلك — الكفر — بما يعبد من دون الله فان شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه اه

وإنما لم يحرم ماله لكونه لم يدخل فى دين الاسلام بدون أن يكفر بما يعبد من دون الله ، بل يبقى كافراً فى نظر الشرع ، وإن شهد الشهادتين وحسب نفسه مسلماً ، ولا عبرة بهذا الحسبان

قال محمد الامير الصنعانى فى رسالته (تطهير الاعتقاد) ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذى تفيده كلمته التى إليها دعت جميع الرسل وهو لا إله إلا الله والمراد اعتقاد معناها لا مجرد التلفظ بها باللسان وإثبات الالهية والنفى والبراءة من كل معبود دونه تعالى وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان العربى فقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب) اه

قلت : وأما جهلة المسلمين فلم يعلموا معنى كلمة الشهادة ، ولذلك وقعوا فى أنواع من الشرك والكفر وناقضوا — لا إله إلا الله — بفعلهم وعقائدهم وهم لا يشعرون بذلك ، لعدم علمهم بشىء من عقائدهم حتى أنهم لا يعلمون أن معنى — أشهد — أعلم وأتيقن

قال المناوى فى فيض القدير (ج ١ ص ٣٥٧) فان الشهادة

قول صدر عن مواطأة القلب اللسان على سبيل القطع ، ذكره الطيبي انتهى

(ت ص٦) قال فى روح البيان (ج ١ ص٥٢) أندادا جمع ند أى أمثالا تعبدونهم كعبادة الله اه

قال الشوكانى فى تفسيره (ج ١ ص ٣٨) والأنداد جمع ند وهو المثل والنظير ، قال فى القاموس (ج ١ ص ٢٤١) الند بالكسر المثل ولم يذكر له غير هذا المعنى . قال فى المختار : الند المثل والنظير

قال الزمخشرى : والند المثل ، ولقد أخطأ الزمخشرى فى قوله ولايقال إلا للمثل المخالف المنادى ، وذلك لأن قوله هذا مخالف لمانقلناه عن القاموس والصحاح وغيرهما من المفسرين

(ت ص٧) أخرج مسلم فى صحيحه (ج ٧ ص ٣٨) عن أبى مرثد الغنوى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لاتصلوا إلى القبور ولاتجلسوا عليها ، قال شارحه النووى : فيه تصريح بالنهى عن الصلاة الى قبر

قال : قال الشافعى رحمه الله : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس اه قال الحافظ فى الفتح (ج ٣ ص ١٣٠) قال ابن رشيد : الاتخاذ أعم من البناء اه أى فيشمل النهى عن اتخاذ القبور مساجد الصلاة عندها وكل عمل فيه تعظيم لها أوتبرك بها

ووجه كون ذلك من قبيل اتخاذ الانداد لله إشراك التماثيل المنصوبة على القبور وعلى أصحابها بالتعظيم والتذلل لهم والاعتماد والتوكل عليهم ، ونحو ذلك من الأمور التى لا يجوز صرفها لغير الله تعالى

قال النووى فى شرح مسلم (ج ١١ ص ١٠٥) وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى بها غيره اه يشير بقوله هذا إلى أنه يلزم من تعظيم المخلوق حياً وميتاً الى أنه يكون ذلك المخلوق المعظم شبيها بالله فى استحقاقه التعظيم وفى معاملته بالتعظيم فعـــلا ، وهذا بعينه هو معنى اتخاذ ذلك المعظم من دون الله نداً لله ، وذلك لتحقق المضاهاة أى المماثلة للمخلوق مع الله فى التعظيم والحب ونحوهما

(ت ص٧) قال النووى فى شرح مسلم (ج٣ ص ١٧٧) من هامش القسطلانى قال العلماء : انما نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به ، فربما أدى ذلك الى الكفر ، كما جرى لكثير من الأمم الخالية ، ولما احتاجت الصحابة رضى الله عنهم والتابعون الى زيادة فى مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة لئلا يظهر فى المسجد فيصلى اليه العوام ويؤدى الى المحذور ثم بنوا جدارين انتهى كلامه

(ت) قال فى الدر المختار (ج ٥ ص ٣٧٨) وكذا ما يفعلونه

من تقبيل الارض بين يدى العلماء والعظماء فحرام والفاعل والراضى به آثمان لانه يشبه عبادة الوثن ، وهل يكفر ؟ فالجواب . إن كان على وجه العبادة والتعظيم كفر وإن كان على وجه التحية . لا . أى أى لايكفر ، وصار آثما مرتكبا للكبيرة

وفى الملتقط : التواضع لغير الله حرام ، قال محشيه ابن عابدين الحنفى ، وقال شمس الأئمة إن كان لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر . وفى الزاهد الايماء فى السلام إلى قريب الركوع كالسجود وفى المحيط انه يكره الانحناء للسلطان وغيره اهـ

قلت ولان القيام للقادم يشبه عبادة الوثن كرهه النبى ﷺ كما فى الحديث الذى صححه الترمذى ولفظه لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته ﷺ لذلك انتهى

وكل مازعمه المجوزون دليلا لجواز القيام للقادم فلا يصح التمسك به كما أوضحه صاحب المدخل ونقض جميع أدلتهم التى احتجوا بها على ذلك فى كتابه المدخل ، وأقوى ماتمسكوا به حديث « قوموا لسيدكم » وقد أجاب عنه بأنه حديث مطلق قيده حديث آخر بلفظ « قوموا الى سيدكم فأنزلوه » وذلك لأن المراد بالسيد المذكور — سعد بن معاذ — وقد كان مريضا حين بعث النبى ﷺ يطلب احضاره ليحكم على أهالى خيبر فجاء بتلك الحالة

راكبا على دابته فأمر النبي ﷺ قومه الانصار لأجل أن ينزلوه من فوق دابته

وعليه فقد سقط الاستدلال به طبقاً لأصول الحنفية والشافعية وغيرهم

قال فى الدر المختار (ج ٢ ص ٣٢٦ طبع الهند) ولوسلم على الذمى تبجيلا يكفر لان تبجيل الكافر كفر ، ولو قال لمجوسى : يا أستاذ تبجيلا كفر كما فى الأشباه ا ه

فاذا كان هذا القدر من التعظيم لمخلوق كفراً عند علماء الحنفية وإن شهد فاعله بلسانه أن لا اله الا الله وصام وصلى وأدى جميع فرائض الاسلام فكيف لايكفر من عظم الاموات والصناديق المصورة بصورها والموضوعة على القبور بأرق مراتب التعظيم ، وتعبد لها بأنواع العبادات ، ونسب اليها مالاتصح نسبته الا الى رب السموات ، وذلك مثل نسبته التصرف فى الكون ، وعلم الغيب والقدرة على شفاء المرضى ، الى الرفاعى والجيلى ونحوهما

واليك قطرة من بحار غزيرة قال فى كتاب قلادة الجواهر (ص ١٩٠) قال الشيخ عمر الفاروثى كنت ذات يوم عند السيد أحمد الرفاعي فأجرينا حديث الأمم الماضيه والقرون السالفة فقلت أى سيدى عند المفسرين الأمم كلها ثمانون ألف أمة فقال أى عمر صدقوا ذلك مبلغهم من العلم أى عمر ، انما هى علوم وصلوا اليها وعلوم لم يصلوا اليها لقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو)

أى عمر ، إنما هى ثمانمائة الف يأكلون و يشربون وينكحون ولا يكون الرجل رجلا حتى يعرفهم ويعرف صورهم وكلامهم وصفاتهم ومقاماتهم ، وأرزاقهم وآجالهم ، وذراريهم ، وشقيهم وسعيدهم ، ذكرهم وأنثاهم ، حرهم وعبدهم . قال : فلما سمعنا كلامه أبهر عقولنا وتعجب الشيخ يعقوب وقال له : أى شيخنا إيش هذا الأمر العظيم الذى لا تحمله السرائر ولا تجوزه الخواطر

فقال له: أى يعقوب أزيدك شيئا آخر . لا تستقر نطفة ذكر فى محل الأرحام منهم إلا ينظرها ذلك الرجل . فزاد تعجبه وقال أى شيخنا هذا رب آخر . فقال تأدب أى يعقوب واستغفر ربك انما يصير — أى ذلك الرجل الآنف الذكر — صفة من صفات الله جل جلاله ، والحق لا يعجزه شىء . وكم من وراء ذلك أمور لا يعلمها الا الله تعالى . اه مختصراً

قلت: وهل يمكن أن يكون بين أكفر الكفار من يتكلم بما يكذب القرآن العظيم وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم كما كذبهما هذا الدعى الثرثار صاحب هذا القول الهراء

قال فى شرح ملتقى الأبحر ومجمع الأنهر (ج١ ص ٦٩٩) ومن ادعى الغيب لنفسه يكفر حتى يؤمر بتجديد النكاح فى قول المرأة «نعم» فى جواب : أتعلمين الغيب ؟ ويكفر بقوله : أرواح المشايخ حاضرة تعلم ، وبإتيان الكاهن وتصديقه . وبقوله أنا أعلم المسروقات وبقوله أنا أخبر عن إخبار الجن إياى . فان قال هذا فهو ساحر كاهن

ومَن صدّقه فقد كفر ، وباعتقاده ـ أى يكفر باعتقاده أن الملك يعلم الغيب .اهـ ملخصا

ومع هذا التنصيص من علماء المذاهب على تكفير مدعي الغيب ونحوه مما تقدم فقد ادعى كثير من المنتسبين إلى المذاهب وإلى الايمان بحديث «خمس لا يعلمهن إلا الله» وآية (إن الله عنده علم الساعة) إمكان علم هذه الخمس لغير الله كما صرح به الشعرانى فى كتابه المنن مع تصريحه بأن مذهبه موزون بميزان الشرع فى أول كتابه (العهود)

وكل هذه المناقضات لما فى كتاب الله وسنة رسوله وأمثالها يجعلونها من قبيل العلم اللدنى والإلهام . وقد كذّب رسول الله (ص) هذا العلم وهذا الالهام الهادم لدين الاسلام من أصله حيث يقول صلوات الله عليه « إنما العلم بالتعلم » وقد تقدم فى أول الكتاب نقلنا له عن صحيح البخارى فى باب « العلم قبل القول والعمل » وتقدم أن الحافظ قال إنه حديث مرفوع إسناده حسن . وبيّن بعناه بقوله: والمعنى :ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء على سبيل التعلم اهـ أى ان العلم المعتبر فى الشرع ليس إلا العلم المأخوذ بنقل العدول من محمد (ص) ومن الأنبياء قبله على سبيل التعلم من الآيات القرآنية والكتب المنزلة والاحاديث النبوية .

فهذا الحديث نص صريح من النبى «ص» بإبطال علوم الصوفية

التي يزعمون أنهم كوشفوا بها بوحي أو إلهام أو ذوق أو وجدان، وبإلغاء اعتبار قواعد المنطق والفلسفة، والكلام، وعقائدهم ومقولاتهم، فانها غير ماخوذة من محمد صلوات الله عليه حتى لفظ الايمان بالبعث والنشور والجنة والنار والملائكة والجن والانس، وجميع الموجودات، وذلك لانهم حرفوا هذه الكلمات عن مواضعها ومعانيها، فان بعضهم زعم أن الايمان هو التصديق المنطقي وانه كيفية من كيفيات النفس لا يدخل تحت اختيارها، بعد أن زعم بعضهم ان معناه إذعان النفس وقبولها، وأنه وما تعلق به من البعث ونحوه الى آخر ماذكرنا ــ جميع ذلك صور ذهنية وكليات وجزئيات وتصورات وتصديقات.

وزعموا أيضا أن العقل غير مدرك بنفسه للجزئيات — بعد اعترافهم أنه لا يوجد في الخارج إلا الجزئيات المتكونة من الكليات بانضمام المشخصات اليها . فكان حاصل كلامهم أن الخالق والمخلوق والدنيا والآخرة وما فيها حقائقها كلية هي أجناس مترتبة، بعضها عالى وبعضها سافل وبعضها متوسطة، لا وجود لها في الخارج، فتكون معدومة فيه لا محالة على زعمهم . ثم مع كونها معدومة ينضم إلى هذه المعدومات المنحصر وجودها في أذهانهم مشخصات تجعلها جزئيات موجودة في الخارج . وهذا مع كونه محالا مناقض لانحصارها في الذهن ومستلزم لأن يكون المعدوم في الخارج موجوداً

فيه فى حالة عدمه . إلى غير ذلك من أمثال هذه المناقضات والسخافات التى جعلوها مدلول الآيات والأحاديث ، وعين الموجودات ومعانى لغوية منقولة عن العرب مما يرجع حقيقته إلى مذهب وحدة الوجود التى تجعل الخالق والمخلوق والعابد والمعبود والعبادة ، وكل شىء كان ويكون وهو كائن ، كل ذلك إلهاً وحقاً وربما أزلياً أبدياً ، هذا ونحوه هو الذى يسمونه علم المكاشفة وعلم الذوق ، وعلم الالهام وعلم التنزلات الالهية

هذا هو الذى أجهدوا لأجل التحقق به نفوسهم وبذلوا جهدهم فى نشره وتعميمه فى عقائدهم وأحزابهم ، وتناقله المغرورون به وبأصحابه ، حتى ذكر بعضهم قسما منه فى تفسيره كالبيضاوى والكازرونى وشيخزادة فى تعليقهما عليه فى حواشى البيضاوى عند كلامهم على آية (إياك نعبد وإياك نستعين) وذكره بعضهم فى شرح بعض الأحاديث كالتفتازانى فى شرح الأربعين

ومعلوم بالطريق القطعى أن جميع ذلك ليس مأخوذاً من محمد (ص) ولا هو مدلول « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) بل المدلول لهذه الآية وأمثالها ، والمأخوذ من محمد (ص) غير ذلك كله من كل وجه .

وقد ثبت لدينا بالأدلة القاطعة ، وبعد تتبع ماذكرنا من تلك العقائد والقواعد الضالة المضلة أن ما زعمه أرباب تلك العقائد علماً

ودينا إسلاميا مأخوذا من محمد صلى الله عليه وسلم كذب باطل ، وتغرير للجهلة . بل عقائدهم المذكورة مما تنزلت به الشياطين عليهم فتكون لا محالة داخلة فى مدلول سبل الضلال الصادة والمفرقة عن سبيل الله الحق ، وهى التى نهى الله عنها بقوله (ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله)

يؤيد ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤخذ عنه ما قاله القاشانى فى أول صفحة من شرح التائية : ان الله خلق العالم مرآة مجلوة فشاهد عينه فيها عيانا تجلى بذاته فى مرايا الصفات و بصفاته فى مظاهر المكونات اهـ باختصار

فمن زعم أن شيئاً من هذا وأمثاله أو شيئا مما ذكره ابن الفارض فى التائية والديوان وشروحهما ، أو شيئا مما ذكر ابن عربى فى كتبه ، أو شيئا مما ذكره المناطقة فى كتبهم أو شيئا من معانى عقائد المتكلمين فيما يتعلق بالله وصفاته وأفعاله ، وشهادة أن لا إله الا الله ، من زعم شيئا من جميع ذلك منقولا عن الله ورسله نقلا صريحا تدل عليه آية أو حديث صحيح دلالة صحيحة عربية غير مبدلة ولا محرفة ولا مؤولة ، فليذكر ذلك ، وأنّى له به ودون ذلك خرط القتاد . ولو أنه طاف مشارق الأرض ومغاربها ، ولقى ما هنالك من العلماء ، واطلع على ما دونته العلماء من السلف وأهل الحديث فى تفاسيرهم و كتب الحديث قاطبه وجميع كتب اللغة العربية ، لم

يمكن أن يظفر بما طلبناه منه من ذلك أبداً

كيف ولو أمكن — لا سمح الله — لأصبح الدين الحق الذى هو غير دينهم ، ديناً فلسفيا باطنيا إلحاديا موافقا لدين وعقائد أرسطو وأفلاطون وابن سينا ، وملاحدة بعض أهل الهند كطاغور الملحد المنتحل بنحلة الدين اللعين ، ألا وهو دين وحدة الوجود ، وما أدراك ما وحدة الوجود . وأقل مافيها أن زعيمها ومشيد أركانها ابن عربى يقول فى آخر فصوصه :

فالضمير فى قوله تعالى « بحمده » يعود على الشىء أى المذكور فى قوله سبحانه (وإن من شىء الا يسبح بحمده) ولذلك فسر هذه الآية بقوله الاتحادى مانصه : أى بحمد ذلك الشىء . اه

وقد صرح فى كتابه هذا وغيره من كتبه التى هدمت دين الاسلام بعبارة لا تحتمل التأويل : أن كل شىء هو الله — تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

ولذلك رتب على ذلك لوازمه بأن كل شىء حتى الكلب والخنزير يسبح نفسه ويحمدها . فهل يمكن لعاقل أن يزعم أن ديناً كهذا وأمثاله يمكن أن يأتى من عند الله ؟ كلا والذى تنزه أزلا وأبداً عن هذا الدين اللعين

لا يمكن أن يأتى ذلك الدين إلا من قبل إبليس اللعين ، واذا كان كذلك فلابد من موافقتنا على جميع ماذكرناه ، وعلى من

تورط فى اعتقاد تلك العقائد أو الخوض فيها على ظن أنها أديان صحيحة إسلامية أن يعلم أنه لا يمكن أن تصح توبته وشهادته إذا أراد أن يرجع عنها إلا بعد أن يتصفح كتبها ويكذب جميع مافيها وينزه دين الاسلام ورب المسلمين وأنبياء الاسلام وعقيدتهم وعلمهم وشهادتهم عنها ، لأنه اذا شهد شهادة الاسلام أو حمد الله أو قرأ القرآن قبل أن يكذب المعانى الالحادية ينصرف جميع ذلك إلى تلك المعانى الالحادية ، لأنه اعتقدها معانى للآيات ونحوها ، فيجازى بذلك على عمله هذا واعتقاده المذكور ولا بد ، ويلزمه أن يعمل غير هذا مما يطول شرحه

ولا يكفى ذلك لصحة إيمانه ، بل لا بد أن يعمل أعمالا لا يتسع المقام لبسطها وأهمها أن يجهد نفسه بكليته فى تعلم المعانى الصحيحة للكلمات العربية والقرآنية والنبوية ، ولا سيما معنى الشهادتين ، ومعنى كلمة الله والكلمات المتعلقة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والمتعلقة بأسماء أنبيائه وحقائقهم ومتعلقاتهم ، والمتعلقة بكلمة إيمان وإسلام ونحوهما ولا يعتمد على أخذ ذلك إلا من أصل اللغة من نحو كتاب الصحاح للجوهرى وكتاب تفسير ابن جرير وابن كثير ، وكتب الحديث الستة وأمثالها

ولتأكيد أن الايمان الصحيح والدين الصحيح غير ما ذكره أولئك الذين نقلنا عنهم بعض ضلالاتهم ، ننقل بحثا فى الايمان من المحققين يظهر به أن دين الاسلام بمعزل عن تلك الأديان ، وعن

دين الجاهلية الذى يزعم أهله أن مجرد التلفظ بالشهادتين وألفاظ لايمان بغير معرفة معانيها ولاعمل بمقاصدها ، كاف فى الدخول فى دين الاسلام ، وعليه فنقول :

قال فى فتح البيان (ج ١ ص ٤٠) عند قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) مانصه أصل الايمان فى اللغة التصديق ، قال تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق ، والغيب فى كلام العرب ماغاب عنك . وذكر أقوالا بمعنى الغيب ثم قال :

وقال آخرون : والغيب كل ما أخبر به الرسل بما لاتهتدى إليه العقول من أشراط الساعة ، وعذاب القبر ، والحشر والنشر والصراط والميزان ، والجنة والنار ، قال ابن عطية : وهذه الأقوال لاتتعارض بل يقع الغيب على جميعها ، وهذا هو الايمان الشرعي المشار إليه فى حديث جبريل حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم « فأخبرنى عن الايمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت » اه

قال ابن جرير : والأولى أن يكونوا موصوفين بالايمان بالغيب قولا واعتقاداً وعملا ، وتدخل الخشية لله فى معنى الايمان الذى هو تصديق القول بالعمل

والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الاقرار بالفعل

وقال ابن كثير : ان الايمان الشرعى المطلوب لايكون

إلا اعتقاداً وقولا وعملا ، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً : ان الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وقد ورد فيه آثار كثيرة اهـ

وحاصل ماذكره هؤلاء العلماء ان معنى الايمان الشرعي تصديق القلب بماذكره واعتقاده لذلك أى عزم القلب على حفظ ماصدق به بقلبه ، وجريان أعمال العبد وابتنائها على مقتضى التصديق والعزم المذكورين ، ومن أنصف نفسه وترك خداعها ولم يلتفت إلى مغالطتها ولم يركن إلى تلبيساتها علم بما ذكرنا أن قول العوام أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من غير علم منهم وإدراك بما يراد شرعاً من ألفاظ الايمان والشهادة ، ومايتعلق بها من كلمة الله والرسل والكتب ليس تصديقا بالقلب : لا بالقول ولا بالعمل ، لأن الايمان بالقول هو القول المعبر عن تصديق ثابت فيه أى فى القلب حتى يكون إيمانا قولياً ، أما إذا لم يكن تصديقاً بالقلب فكيف يكون معبراً عن تصديق غيرموجود ، إذ لا تصديق هناك ولا علم عند ذلك الشخص لأنه يتكلم بمالا يدرى ويتعبد بألفاظ مهملة فى زعمه واعتقاده فلاجرم تكون كلمات إيمانه وشهادته بمنزلة الكلمات المهملة عن المعانى مثل كلمة (جسق .. بسق) .

هذا حقيقة أمر هذا الجاهل الذى حملته سكرة حب الدنيا على إهانة شهادة الاسلام ومحوها إلى هذا الحد ، فما يكون جزاءه يوم

القيامة وبأى وجه يلاق ربه وقد أهان دينه وتلاعب به وجعله كلمات مهملة ورتب عليه أحكام دين الاسلام الصحيح مثل جزاء الله له على هذا الدين الذى هو من أبطل الأديان بالجنـة والفوز والسعادة العظمى . فما أعظم افتراؤه على الله بذلك ، ولاحول ولاقوة إلا بالله على هذه المصيبة العظمى

وقال فى حاشية الدر النضيد من مجموعة الحفيد (ص ٦٦)

وزعموا أن لهؤلاء الأموات تصرفات روحية بعد مماتهم مثل تصرفاتهم الجسمية فى حياتهم ، وزاد قوم فزعموا — افتراءاً على الله وعليهم — أن الله قد وكل إليهم تدبير العالم ، والتصرف فيه برغبتهم ومشيئتهم لا برغبته ومشيئته فنذروا لهم النذور ، وقربوا لهم القرابين وسألوهم مالا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ، مثل الرزق وشفاء الامراض ونحو ذلك ؛ وخافوهم أشد الخوف ، وفوق مايخافون من الله ، فترى الواحد من هؤلاء يهمل فريضة الحج التى افترضه رب العزة عليه فلايؤديها طول حياته مع غاية التمكن منها والقدرة عليها ، ولا يتأخر عن زيارة الولى فى الوقت الذى اعتاد الناس زيارته فيه ، أو الوقت الذى جعل على نفسه زيارته فيه ، وإذا فاته ذلك لمانع من مرض أو غيره مما يباح معه ترك الحج تألم وعض على أصابعه ندماً ، ثم كل مايناله من الشرور بعد ذلك أضافه إلى غضب المقبور عليه لتأخره عن زيارته

وترى الآخر من هؤلاء الحمقى يعطل فريضة الزكاة فلايؤديها

وهو على سعة تامة ، وبسط فى المعيشة كامل ويبسط يديه بالنذور للأموات ، وذبح الذبائح لهم ، وإنفاق الاموال الكثيرة فى زيارتهم فإن فاته ذلك ولوسهواً بادر بتقديم أضعافه لهم خيفة منهم على نفسه وأهله وماله ، ولايبالى من رب العزة ولايحسب له حسابا

هذا — ولولا أن أصحاب هذه المعتقدات الباطلة بين ظهرانينا لم نصدق أن مسلما يقول مثل هذا القول والأمر لله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم انتهى كلامه

قلت ومما نشاهده بين ظهرانينا التعبد بأن حقيقة محمد (ص) حاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام ، وأن هذه الحروف الثلاثة من الكلمات الثلاث نور الذات ، أى نور ذات الله ، والسر السارى فى أسماء الله وصفاته ، وأن تلك الحروف هى قبلة لقضاء حوائج الخلق ، وأنها ظاهرة بصورة الله ومستوى لتجليه إلى ماهنالك من أمثال هذا الكذب فى ذلك الكتاب المنتشر المعلوم الذى لايكاد يخفى على أكثر المتعبدين به وبأمثاله ، والذى فيه: يامن هو لاهو إلاهو ، الذى حقيقته مذهب وحدة الوجود كما قد أطبق الشراح كما سيأتى على تفسير هذه الكلمات بوحدة الوجود

قال فى نزل الابرار (ص ١٦٦) فهذه الزيادات التى جاء بها جمع من العلماء والمشايخ وألفوا فيها كتبا كدلائل الخيرات وشفاء السقام وغيرهما ، وابتدعوا للصلاة صيغاً كثيرة اشتملت على إطراء وإغراق وألفاظ لم ترد فى سنة ، وعبارات لم تجىء من

من الجاهلية

رسول الله (ص) كلها من هذا الوادي أي من وادي البدع والمنكرات العظام

ثم قال: ولهذا أفتى السيد العلامة محمد بن اسماعيل الامير قدس الله روحه باحراق الدلائل، وليس فيما ثبت في السنة المطهرة تفريط، اه

ومع أن الحال كما ذكر ترى أكثر الذين يزعمون أنفسهم علماء يرضون بتلك الاحزاب والصيغ المبتدعة، ويجيزها بعضهم للعوام ويحسنها لهم، ويموهون لهم أنها من أفضل القربات وسوف يتبرأ التابع من المتبوع فيقول (ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

والاشارة إلى قطرة من بحر ضلال تلك الاحزاب نوضح بعض ذلك فنقول: لا يصح اعراب حاء الرحمة ونحوه الا بدلا مما قبله أو عطف بيان أو صفة كاشفة

وعلى الأول تكون الحاء هي المقصودة بالحكم والمبدل منه في حكم الطرح كما صرح به النحاة، وعلى الثاني والثالث تكون الحاء تفسيراً لمعنى ماقبلها، فتكون هذه الحروف الثلاثة هي رسل الله، ولا يبعد أن يوجد في العالم منها مايزيد على أكثر من مائة ألف فيثبت لها أنها كلها رسل الله، أنزل عليها القرآن وقصدت بآية (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) كما قال المنعوت في سورة الاعراف فتكون كلها أسمها محمد بن عبد الله بن آمنة

ولدت فى مكة ودفنت فى المدينة ، ويثبت لها كلها جميع خصائص ذلك الرسول من جميع ماجاء فى هذا الكتاب ، وفى غيره من القرآن والحديث وغيرهما ويثبت لذلك الرسول الحقيق خصائص تلك الحروف من كونها حرف هجاء مهمل لامعنى له ولادلالة له على شيء موجود أصـــلا مع جعل ذلك الموجود هو ومتعلقاته عين تلك الحروف الكثيرة ، فالخلاص يكون بتكذيب ذلك كله والاعتراف بتحمل أوزار ذلك كله وان شيئاً من تلك الحروف ليس لها ذات محمد ولا اسمه ولاصفته ولاشؤونه ولاخصائصه ، ولا أظن أن ذلك يكفى بصورة مجملة بل لابد من التفصيل ليدرك مبلغ الجنايات المترتبة على ذلك وكذلك نفى وإنكار إثبات خصائص تلك الحروف من الكثرة والاهمال عماهو الحق والاعتراف بالتمايز والتغاير وعدم إضافة ما لكل من الخصائص إلى الآخر

(ت) قال فى راموز الحديث وشرحه لوامع العقول تحت حديث « لاتجعلوا » أى أيها الأصحاب « قبرى عيداً » أى لاتجعلوا زيارة قبرى عيداً . قال الطيبى : نهاهم صلى الله عليه وسلم عن الاجتماع لها اجتماعهم للعيد ، وكانت اليهود والنصارى تفعل ذلك بقبور أنبيائهم فأورثهم الغفلة والقسوة

ومن عادة عبدة الأوثان انهم لا يزالون يعظمون أمواتهم حتى اتخذوها أصناماً ، وإلى هـذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله « اللهم لاتجعل

قبرى وثناً يعبد » فيكون المقصود من النهي كراهة أن يتجاوزوا فى قبره ولهذا ورد :اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .ثم ذكر تكملة الحديث بقوله « ولا تجعلوا بيوتكم قبورا »[١] قال أى كالقبور وقيل معناه لاتدفنوا أمواتكم فى بيوتكم ، ورد الخطابى بأنه ﷺ دفن فى بيته مردود بأن ذلك من الخصائص لحديث « ماقبض نبي إلا رد من حيث يقبض »

ثم أكمل الحديث بقوله — وصلوا على وسلموا حيثما كنتم فتبلغنى صلاتكم وسلامكم — قال فى شرحه أى لاتتكلفوا المعاودة إلى قبرى فقد استغنيتم عنها بالصلاة ، ورمز إلى أن مخرجه أبو يعلى والترمذى عن على رضى الله عنه . ثم قال ورواه فى المشكاة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى » رواه النسائى وأبوداود ، كما يفهم من كلام النووى فى الاذكار ، وقال ابن حجر ورواه أحمد فى مسنده وأبوداود وصححه النووى ، وفيه أحاديث كثيرة انتهى كلامه باختصار من

---

١) وفيه اشارة الى النهى عن الصلاة فى المواضع التى فيها القبور وذلك واضح من أمره (ص) بصلاة النوافل فى البيوت ، والامر لأصحابه بعدم ترك الصلاة فى البيوت فتكون كمواضع القبور التى لاتشرع الصلاة فيها ولا تجوز عندها كما هو واضح من السياق

ج ٤ من شرح الراموز من ص ٧٧٥ إلى ص ٧٧٧

قلت وقد أفاد الطيبي حكمة النهى عن جعل قبره ﷺ عيداً بقوله « ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون أمواتهم » أى بالتذلل لهم وطلب الحوائج منهم أو بواسطتهم أو بالنذر لهم والطواف بقبورهم ، وتقبيلها ، والتبرك بها وبصورها الموضوعة عليها المسماة بالصناديق والتوابيت وبانزال المهمات بأصحابها ، والاعتماد عليهم فى كشف الكربات كما يفعله كثير من العوام والعلماء الذين يجهلون أنهم بعملهم هذا كانوا ضالين مضلين حيث انهم اتخذوا تلك القبور أوثانا وأصناماً من حيث يشعرون أو لايشعرون ، وأغروا العامة فاضطروهم إلى الاقتداء بهم ظانين أن ذلك عمل اسلامى يتقرب به إلى الله فصدوهم بذلك عن العبادة لله وحده إلى عبادة المخلوقات واتخاذها أنداداً وأدخلوهم فى دين عبدة الأوثان وهم لايشعرون

ولعل السبب فى ذلك هو ركونهم إلى الراحات فلم يتجشموا مطالعة الكتب ولاسيما التفاسير ليظهر لهم تقصيرهم فى معرفة معانى الآيات المتعلقة ببيان أن ماذكرناه من أعمالهم هو بعينه دين المشركين الأولين الذى حكاه الله عنهم فى القرآن الكريم ، ولو أنهم أجهدوا أنفسهم فى امعان النظر بمعانى تلك الآيات لتبين لهم انه لانزاع فى كون تلك الاعمال هى فى الحقيقة عبادة لأولئك

الاموات باتفاق أهل اللغة وأهل الشرع من جميع المجتهدين والمفسرين ، ولتبين لهم أيضا أنه لانزاع بينهم فى أن هذه الأعمال المصروفة إلى الأموات إنما هى أعمال وثنية « كما سماها الله ورسوله ﷺ بذلك » مهما حسنت نياتهم ونطقت بالشهادتين ألسنتهم ، بل ومهما قاموا بأداء الصلاة والصيام ، غير أن أولئك العلماء اعتقدوا أن لا سبيل إلى فهم الآيات القرآنية فأنى وكيف يتأتى لهم فهم معناها الدال على ماذكرناه ، وهم قد اعتقدوا أن فهم معانيها يحتاج إلى حيازة منصب الاجتهاد وهم لم يجوزوه لأحد الا من توفرت فيه شروطهم الثقيلة فمنعوا بذلك أن يتفضل الله به على أحد من خلقه بعد أولئك الاربعة فكذبوا بالآيات التى تفيد بأن فضله عاماً شاملا غير محصور بأربعة ولازمان دون زمان ، وذلك لازم لهم فلذلك أخذ بعضهم بقول من يقول بانقطاع الاجتهاد منذ عدة قرون فهذا هو الذى حال بينهم وبين فهم القرآن

على أن هؤلاء المتأخرين أخلدوا الى التقليد الصرف حتى فى مسألة التوحيد التى هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين ، والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لايميزون الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن فى كل مايجدونه مدونا بين دفتى كتاب لأنهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد

يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الاقدمين ويتخذون الخلافيات مداراً لتطبيق الاحكام على الهوى لايبالون بحمل أثقال الناس فى الدين على عواتقهم ، ويزعمون أن التسليم أسلم ، وأنهم أمراء النقل وان خالف ظاهر النص ، ويتوهمون أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة عملا بحديث موضوع — اختلاف أمتى رحمة — ذكره السيوطى فى الجامع الصغير بغير سند

وقد انتهى الحال بالبعض منهم الى تقليد أرباب الوحدة فى وحدتهم فقرأ البعض أحزابهم المشتملة على نفى رب العالمين وانكار وجوده ووجود العالم بأجمعه ، وانكار وجود محمد ﷺ والانبياء قاطبة ، وأديانهم وشرائعهم ، وقلدوا أصحاب هذا الدين الذى لايوجد على وجه الارض دين أبطل منه ، وورطوا العامة فى تصحيحهم لهذا الدين الباطل ، فلم ينكروا معنى الجمع والفناء والبقاء ومعنى لاهو إلاهو

وقد فسر بعض المشايخ الصوفية فى البدور الجلية معنى الجمع ناقلا عن الفتوحات بأنه اشارة الى حق بلا خلق ، ومعلوم أن الخلق موجود بالمشاهدة لايمكن انكار ماهو مشاهد ومع ذلك فقد نفوه ظلما ومكابرة للحس والعيان

قال صاحب البدور نقلا عن المحيوى ان الجمع استهلاك فى الله عند رؤية الجمال ، وقال أيضا فى موضع آخر : ونوع آخر ، أى من ظهور الله فى العالم ، وهو تجلى الله فى ذرات مخلوقاته فلايحتجب

بها بل هى مرائى لظهور بل لا يظهر حينئذ ، وإنما الحقائق متلاشية كخيال موهوم انتهى توضيحه على زعمه الفاسد أن الله يظهر فى كل ذرة من المخلوقات ، ولما كان الظهور فيها يقتضى أن تكون المخلوقات ظرفاً له تعالى نفى ذلك زعماً منه أن حقيقتها متلاشية كخيال موهوم كما صرح به إمامه فى الفصوص حيث قال إنها خيال فى خيال . وقال فى الفتوحات (ص ٦ ج ٢) ان حقيقة الخلق عين حقيقة موجده .

ثم ان المؤلف المذكور صاحب البدور قال : وأنت خبير أن الموهوم ليس بشىء حقيقة أى ان المخلوق ليس بشىء . ثم استدل على هذا الباطل بتحريف آية (كل شىء هالك إلا وجهه) وحملها على غير معناها . وذلك أنه بعد أن قال : ان المخلوقات متلاشية قال : وهذا سر قوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) وأكد هذا الباطل وصرح به حيث فسر قوله تعالى (له الحكم واليه ترجعون) بقوله : ترجعون اليه من الوجود المجازى بالفناء عنه أى باعتقاد فناء وجود حقائق الخلق وظهور أن وجود الخلق هو وجود الرب بعينه ، ولذلك قال أى حال فنائكم عنكم وبقائكم بربكم ، أى يظهر لكم أن وجودكم الذى حسبتموه وجوداً غير وجود ربكم هو فى الحقيقة والواقع وجود ربكم ، أما وجودكم فأمر موهوم لا حقيقة له .

وهذا مراد الصوفية بالجمع والبقاء والفناء وجمع الجمع . وهو

الذى فسره بقوله إشارة الى حق بلا خلق . وفى هذا الحال بحسب هذا الاعتقاد الباطل ينتفى عندهم الخلق ، ويصير كل شىء وجوده حقاً وربا وإلها ، ولذلك يزعمون أن كل مايشيرون اليه بـ (هذا) أو بـ (هو) من كل مخلوق فذلك المشار اليه هو الله وهو الحق . ولذلك يقولون يامن هو هو هو كما قال الشاذلى فى حزب البر . أو يقولون لا هو إلا هو كما قال ذلك فى حزب يوم الاثنين

ثم قال المؤلف المذكور فى البدور (ص ١٩٣) ولهذا أى لاجل تأمل معنى الهوية يتركون ياء النداء فيقولون هو لا هو إلا هو . ويكون فى حال كأنه يخاطب أعضاءه بأنه ليس فى الوجود إلا هوية الحق وهو الغاية القصوى . قال : وصاحب هـذا المقام لا يحجب بالخلق عن الحق ، ولا بالحق عن الخلق ، ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة . ويشهد أن الحق ظاهر فى المظاهر فلا يشهد ظاهر بلا مظاهر كما هو مشهد الموحدين ، ولا مظاهر بلا ظاهر كما هو مشهد المحجوبين المسجونين فى الفرق الاول . اهـ كلامه الباطل بالضرورة وبالبداهة والشهود والعيان .

وتصريحه بأنه ليس فى الوجود إلا هوية الحق يظهر به مرادهم بقولهم لا هو الا هو ، وهو أن معناه عنـدهم أن كثرة المخلوقات وتمايزها وتغايرها وتشخصها منفى بلا هو لأنه خيـــال متلاشى ، ويثبتون بـ (إلا هو) ان وجودها هو وجود الله الحق السارى فيها — تعالى الله وتقدس عن هذا الاتحاد اللعين الذى يكون فى

جانبه اتحاد النصرانى قطرة من بحار زاخرة

وقد حقق المؤلف وأمثاله من الصوفية المتأخرين هذه الاتحادات بأنواع من التأكيدات والتحقيقات التى لا تكاد تنحصر . منها قول المؤلف المذكور : ولا يحجب بالخلق عن الحق — أى لأنه يراها وهماً وخيالا متلاشياً

ومنها قوله : ان الوهم ليس بشىء — أى فلذا لا يكون حاجباً عن الحق ، لأن معتقد ذلك يزين له الشيطان رؤية حقيقة نفسه وغيره من كل شىء هى حقيقة وجود الله وطلباً الوصول إلى هذا الاتحاد المستحيل يقولون لا هو إلا هو ، ويجعلون هذا هو التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، ويزعمون أنه معنى لا إله الا الله كما صرح به السويدى والهندى فى شرح كشف الحجب المرسلة ويسمونه وصولا وجمعاً ، لأنه يتصل حقائق المختلفات بعضها مع بعض وتجتمع كلها فى شىء واحد هو وجود الله ، ويسمونه أيضاً بقاء لأن وجود الحق باق ، وقد صار الخلق حقا وأخذ أحكامه كلها . ومنهـا البقاء والأزلية والأبدية والربوبية والألوهية والأسماء الحسنى ، ونحو ذلك من شؤون الاله كلها فيجعلونها لكل ذرة من الخلق ، فيكون الخلق على هذا الاعتقاد اللعين حياً قيوماً مالكا لنفسه وغيره .

وهذه أمور مستفيضة فى سائر كتب الصوفية يصرحون بها ، ويتباهون ويتفاخرون من غير حياء ولا مبالاة ، لعلمهم بأن العلماء أكثرهم قد قلدوهم وتابعوهم على هذا الكفر الفظيع ، والعامة

تابعت العلماء . وهذا نتيجة تقليد العلماء لهؤلاء الأنام

قال الفاسى فى شرح الدلائل (ص٤١٤) تعليقاعلى قول الماتن ياهو يامن لا هو إلاهو . نقلا عن شيخ شيوخه مانصه :

والحاصل أن الاشارة بـ(هو) مختصة بأهل الاستغراق والتحقق فى الهوية الحقيقية ، فلانطباق بحر الأحدية عليهم ، وانكشاف الوجود الحقيق لديهم ، فقدوا من يشار اليه بـ(هو) الا هو ، لأن المشار اليه لما كان واحداً ، كانت الاشارة اليه مطلقة لاتكون إلا اليه لفقد ماسواه فى شعورهم لفنائهم عن الرسوم البشرية بالكلية وغيبتهم عن وجودهم وعن إحساسهم وأوصافهم الكونية . وذلك غاية فى التوحيد .

ثم قال فى تفسير (يامن لا هو) مثل التى قبلها . أى يامن يشار اليه بـ(هو) وتطلق عليه وله الوجود الحقيق (إلا هو) ضمير يعود على الموصول . اه

وقال أبوزيد عبد الرحمن الفاسى فى شرح حزب البر للشاذلى قال القشيرى : وقد قدمنا أن الاشارة بـ(هو) مختصة بأهل الاستغراق .الخ مانقلناه آنفا عن شرح الدلائل . ثم قال : هذا مقتضى حال القوم فهو عندهم اسم مستقل بمعناه لا ضمير غيبة كما هو موضوع فى أصله . انتهى مختصراً .

وقال ابن عطاء فى مفتاح الفلاح المطبوع بهامش متن الشعرانى

(ج ٢ ص ١٣٥) اعلم أن هو اسم موضوع للاشارة، وعند أهل الظاهر لا يتم الكلام إلا بالخبر نحو قائم وقاعد. وعند هذه الطائفة هو إخبار عن نهاية التحقيق، ويكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم فى حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق على سرائرهم، فما سواه لا شيء حتى تقع الاشارة اليه

قيل لبعض الوالهين: مااسمك؟ قال هو. قيل من أنت؟ قال هو. قيل من أين جئت؟ قال هو. قيل ماتعنى بقولك هو؟ قال هو. وما سئل عن شيء إلا قال هو. قيل لعلك تريد الله، فصاح صيحة عظيمة ثم مات. انتهى باختصار.

وقال السويدى والهندى فى كشف الحجب المرسلة (ص ٨١) ولا تنفى فى قولك لا اله إلا هذه الآنية. وقد فسرها بقوله: هو عبارة من أن تكون وباطنك غير الحق سبحانه

ثم قال الهندى (وهو) قال شارحه السويدى أى نفيك لها (عين معنى لا إله) إذ لو لاحظت غيره موجوداً بوجوده الذاتى لزم قدمه ثم لزم كونه إلها. ثم بعد نفيك هذا (اثبت أنت الحق سبحانه) أى وجوده فى باطنك ثانياً (وهو) أى هذا الاثبات (عين معنى الا الله) انتهى شرحا ومتناً باختصار

وبالتأمل فى هذه التقولات يظهر للعيان أن مذهبهم واعتقادهم فى معنى لا إله هو نفى وجود الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، والايمان وإنكار وجود محمد ﷺ ونفى نبوته، وإنكار وجود

الرسل، ونفى البعث والحشر والجنة والنار والدنيا والآخرة ،وكل ما كان ويكون وهو كائن . وأما كلمة الا الله فى شهادة أن لا إله الا الله ، فمعناها عندهم إثبات أن جميع ماذكرناه من الخالق والمخلوق إلى آخره شيء واحدهو ذلك الحق المتحد بكل شيء حتى بلفظه الذى يزعمونه حقيقة العالمين متحداً وظاهراً بكل شيء ، مع أن الحقيقة أن ذلك الحق عدم محض وهو غير الله ،وغير كل ماذكرناه

فبالنظر الواقع كانت عقيدتهم إنكار كل شيء وهذا الانكار المشتمل على أعظم كفر وإلحاد يجعلونه نهاية التوحيد ، ولذلك بالغوا فى نشره فورطوا عامة الناس فيه ،ولاسيما انتشاره فى الدلائل الذى يتعبد به مثل مايتعبد فى القرآن فى الكثرة ، وهؤلاء الذين يتعبدون به وإن كانوا يجهلون حقيقة ماذكرناه من مذهبهم فهم مؤاخذون وداخلون فى مذهبهم ، ومحسوبون شرعا منهم ، وعلى عقيدتهم ،فهم الآن إذا لم يتوبوا توبة صادقة حين يقولون لا إله إلا الله ينكرون وينفون كل شيء ،لأنهم قد رضوا بهذه العقيدة ، وتلفظوا بلا هو الا هو راضين بها غير مكرهين

وقد نتج من علمهم ذلك التفريق بين المسلمين والمخالفة لقوله تعالى (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فلذلك عمهم حكم آية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء) والله المستعان

(ت ص٧) هذا الحديث مذكور فى صحيح مسلم مع الشرح فى

ويشهدون به فى صلاتهم وعبروا عنه بالصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير ... حال الهداة الصلاة ... العلم ... اللذ ... العظيم

(ج ٧ ص ٣٦) قوله وذلك هو محو الصور — قال النووى فى شرح حديث أبى الهياج المذكور مانصه : فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح انتهي

يريد بقوله هذا أن فى الحديث أمر النبي ﷺ بتغيير صور ذوات الأرواح، وهذا اعتراف من الامام النووى بموافقة المصنف فيما حكم به

(ت ص ٧) أخرج مسلم عن فضالة بن عبيد أنه أمر بقبر بعض من مات من أصحابه فسوى ، ثم قال رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها

قال النووى فى شرحه (ج ٧ ص ٣٦) قال الشافعي فى الأم : ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم مايبنى ، قال : ويؤيد الهدم قوله أى قول النبي (ص) فى حديث أبى الهياج « ولا قبراً مشرفا الا سويته — انتهى

فقد علم من أمر النبي (ص) فى هذا الحديث بتسوية القبور ، وكذا من عمل على بن أبى طالب وفضالة بن عبيد وعمل الأئمة الذين رآهم الامام الشافعى رضى الله عنه يأمرون بهدم مايبنى على القبور : أن تسوية القبور وهدم القباب المشيدة عليها أمر مشروع ثابت نقله عن النبي (ص) وعن الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم ، أفلا يكون من أبشع الظلم وأشنع المنكرات إنكار من ينكر على من

أمر أو يأمر بهدم تلك القباب الضخمة المزخرفة التى أغرت ولم تزل تغرى الناظر اليها وتحمله على الاعتقاد بأنها تعظم -إلها عظيما- يضر وينفع ، ويعطى ويمنع . فنستغفر الله العظيم من أمثال هـــذا الكفر الموجب للعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة

فليت شعرى :هل علم هؤلاء المنكرون أن إنكارهم هذا إنما هو فى الحقيقة والواقع موجه بالدرجة الأولى على رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب لكونه امتثل أمر الرسول ﷺ بذلك ،وعلى الصحابى الجليل فضالة بن عبيد ، وعلى الأئمة الذين رآهم الامام الشافعى يهدمون القباب ونحوها ، وعلى الأئمة الأربعة وجميع المجتهدين ،ثم على غيرهم تبعاً لهم والله المستعان

(ت ص ٨) أما التعظيم بالذبح فقد روى مسلم فى صحيحه (ج ١٣ ص ١٤١) أن رسول الله ﷺ قال فى جملة حديث « ولعن الله من ذبح لغير الله » قال شارحه النووى : وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى أو الكعبة ونحو ذلك ، فكل هذا حرام ولا تحل تلك الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهوديا . نص عليه الشافعى ،واتفق عليه أصحابنا . فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له الذى هو غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً ،فان كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً

وذكر المروزى من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان

تقربا اليه أفتى أهل بخارى بتحريمه ، لأنه مما أهل به لغير الله تعالى انتهى كلام النووى

قال فى فتح البيان (ج ١ ص ١٩٨) ولا خلاف فى تحريم هذا أى ماذبح لغير الله وذكر عليه غير اسمه وأمثاله . ومثله مايقع من المعتقدين للاموات من الذبح على قبورهم فانه مما أهل به لغير الله ، ولا فرق بينه وبين الذابح للوثن . وفى تفسير النيسابورى للنظام قال العلماء : لو أن مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً ، وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى

قلت : ويدخل فى التحريم الذى أشار اليه واللعن المذكور فى الحديث الذبح لقدوم عروس أو غائب ونحو ذلك مما تفعله العامة من الذبح على عتبة الدار عند إكمال عمارتها إما لدفع الأقدار والأضرار أو لجلب المنافع أو تعظيما لمن يذبحون له اعتقاداً منهم بأن ذلك أمر مشروع فى دين الاسلام ، والحقيقة أن ذلك حرام ملعون فاعله على لسان محمد ﷺ ، لأن معنى الحديث المتقدم وهو قوله ﷺ « ولعن الله من ذبح لغير الله » إما الاخبار من النبى بأن الله قد لعن كل من ذبح لغير الله ، وإما الدعاء عليه بأن يطرده الله من رحمته ، ويا ويح من دعا عليه النبى ﷺ باللعن أى بالطرد من رحمة الله

وأما تحريم التعظيم بالنذر لأهل القبور ، وكونه من اتخاذ الأنداد فثابت شرعا من وجوه :

(الأول) الاجماع على تحريم النذر للمخلوق . قال فى مراقى الفلاح (ص ٤٠٢) فلا يلزم الوضوء بنذره ولا سجدة التلاوة ولا عيادة المريض ، إذ ليس من جنسها واجب ، وإيجاب العبد معتبر بإيجاب الله تعالى إذ له الاتباع لا الابتداع . وهذا فى ظاهر الرواية، وفى رواية عن أبى حنيفة قال : إن نذر أن يعود مريضا اليوم صح نذره ، وإن نذر أن يعود فلانا لا يلزمه شيء ، لأن عيادة المريض قربة ، وعيادة فلان بعينه لا يكون معنى القربة فيه مقصوداً للناذر بل مراعاة حق فلان فلا يصح التزامه بالنذر ، وفى ظاهر الرواية : عيادة المريض وإن كان فيه حق الله تعالى فالمقصود حق المريض ؛ والناذر إنما يلتزم بنذره مايكون مشروعا حقا لله تعالى مقصوداً اهـ

قال محشيه الطحطاوى : قوله « بل مراعاة حق فلان » هو المقصود له . وقوله « فلا يصح التزامه » منه يؤخذ عدم صحة النذر للاموات .

قال فى الدر : واعلم أن النذر الذى يقع للاموات من أكثر العوام ، وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء تقربا اليهم فهو باطل وحرام

ثم قال : قال فى البحر لوجوه :

منها : أنه نذر لمخلوق ولا يجوز لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها أنه إن ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى كفر — إلى قوله —

للاجماع على حرمة النذر للمخلوق ولا ينعقد ولا تشتغل به الذمة ، وانه حرام بل سحت

انتهى كلام صاحب البحر ، ومنه يعلم بطلان مايدعيه البعض ويغالط نفسه بقوله إنهم لا ينذرون للاموات ، وإنما ينذرون لله ، والثواب للميت ، ثم هو يبكى ويستبكى ويدعو بالويل والثبور على كل من ينكر عليه هذه الأعمال والعبادات الشركية المتقرب بها إلى غير الله فى الحقيقة ، وإلى الله على حسب زعمه ، وقد فات هذا الغبى أن أول من أنكر — مازعمه طاعة لله — هو النبى ﷺ ثم صحابته الأكرمون .ثم التابعون لهم باحسان ، ثم الأئمة المجتهدون ، ومنهم الامام أبو حنيفة وأصحابه عليهم الرحمة كما مر بك آنفا

على أننا ندلى بدلونا فى الانكار عليهم والرد على مزاعمهم فنقول

(أولا) ليس فى النذر الصحيح الذى يكون لله وحده ثواب أصلا حيث قد ثبت النهي عنه ـ إذا كان معلقا على نحو شفاء مريض ـ فى أحاديث الصحيحين

(وثانياً) لو فرض وقوع ذلك وقصد بعض الناذرين له وثبت شرعا حصول ثواب فى النذر فالمقصود الأصلى للناذر مراعاة حق الميت المنذور له بحسب الحقيقة الدافعة له إلى النذر ، وذلك انه إنما نذر لله ليحصل له ثواب حسب زعمه يهديه للميت مقابلة لإحسانه فى القيام بقضاء بعض حوائج الناذر إما بنفسه أو بواسطته عند الله تعالى ، وحينئذ فلا تكون القربة مقصودة لله أولا وبالذات ، بل

بالتبع كما قال أبو حنيفة بنظير ذلك فى بطلان النذر لعيادة مريض بعينه ، ومنه أخذ الطحطاوى عدم صحة النذر للاموات

ولاشك أن كثيراً من الناذرين للاموات إنما ينذرون لهم لاعتقادهم أو لظنهم أن لهؤلاء الأموات تصرفات فى الأمور ، فبناء على ما حكم به صاحب البحر وأقره عليه الطحطاوى يكون هؤلاء الناذرون « كفارا » ومعلوم أن الحكم عليهم بالكفر من قبل علماء الحنفية إنما هو من جهة اعتقادهم بتصرف الأموات لا من جهة عدم نطقهم بالشهادتين ، بل انهم كفار بذلك عند أولئك الفقهاء وإن نطقوا بهما وصاموا وصلوا ، وإنما وجه التكفير كونهم عبدوا الأموات كما مر بك تصريح صاحب البحر بذلك لأجل أنهم عظموها بالنذر لها واتخاذها به أنداداً وأوثانا ، فان مقصودهم بالنذر لها تعظيمها

فكما أن من سجد لصنم أو لقبر يكفر لتعظيمه بالعبادة ، فكذلك الناذر يكفر ،لأن كليهما قد اتخذ أنداداً وعبد طاغوتا بقولها وفعلهما وقصدهما ، فأنى وكيف تدخلهما الشهادتان فى حظيرة الاسلام والحالة هذه وهما قد نقضاها بهذا العمل ،وكذبا بزعمهما انهما آمنا بهما، لأن مدلول شهادة أن لا إله الا الله هو « لا نعبد إلا الله » لا بنذر ولا بذبح ولا استلام قبر أوطواف به وتقبيله ، ولا نتعبد بأى نوع من أنواع التعبدات لأحد من المخلوقات ، بل نكفر

بعبادتها وتعظيمها بأى نوع من ذلك ، ولا نقر باستحقاق العبادة إلا لله قولا وفعلا ونية واعتقاداً

هذا كله هو المعنى لكلمة لا اله الا الله

الوجه الثانى : ان التعظيم لله بالنذر وغيره من العبادات عنوان على صدق العبد فى دعواه أنه آمن وصدق بأنه لا يستحق التعظيم والمحبة والعبادة إلا الله وحده ، فمتى نقض العهد والميثاق الذى عاهد به وأقر به بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، وكذب ذلك بتعظيمه الأموات وعبادتها لم يكن آتياً بالتصديق الفعلى لايمانه القولى ، بل فعله هذا قد برهن على كذب دعواه الايمان بذلك ، حيث شرع له كعبة وثنية يعظمها ويستلمها ويقبلها وينذرلها ، ويبذل لها خالص الحب والخضوع تقربا بذلك إلى الاموات المدفونين تحت القبور المنصوبة عليها صورة رجال مضاهاة للكعبة المشرفة التي يتقرب بفعل ذلك عندها إلى الحى الذى لا يموت

والبلية العظمى كونه اعتقد أن ذلك الدين الوثنى هو بعينه دين الانبياء الذى دعت اليه الرسل ، وأنزلت به الكتب الالهية

ولئن كان النبى ﷺ قد حكم على اليهود الذين إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصناديق الموضوع مثلها على قبور المسلمين ـ حكم بأنهم شرار الخلق عند الله ، فالواجب

أن يحكم على من يصنع ماذكرناه ممن يدعى الاسلام بأنه أعظم إلحاداً وزوراً وبهتانا وشراً من شرار الخلق — فكيف لايحكم على اولئك الذين قد اتبعوا سنتهم شبراً بشبر بأنهم من شرار الخلق ؟ لا بل ينبغى أن يحكم عليهم بأنهم شر شرار الخلق . وذلك لأنهم قد زادوا على اليهود شراً وبلاء عظيما : ألا وهو أن عملهم هذا وأمثاله مأخوذ من الشريعة الاسلامية التى قد جاء بها النبي ﷺ من عند الله ، فألزم العباد بها ، ويلزم من ذلك أن يكون محمد ﷺ متعبداً بدينهم الوثنى ، وأنه ملة ابراهيم حنيفاً . وهذا لم يقل به من يحمل ذرة من عقل ، لأنه من المعلوم الواضح المقرر أن النبي ﷺ قد أتى داعياً لاجتثاث أمثال هذه الأعمال الوثنية ، والاعتقادات الشركية

فان الأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول من قبل الصحابة والتابعين وكافة المجتهدين قد حرمت النذر لمخلوق ، وحرمت البناء على القبور ،ولعنت من ينصب عليها صناديق ، فما بالك بما نشاهده الآن من هذه الصناديق التى تمثل صورة المقبور تحته من وضع عمامة بيضاء أو خضراء فى رأسه ، وسبحة مثوية فى عنقه ، وقنديل بجانبه ، الى آخر ماهنالك من طاعة للشيطان ، ومعصية للرحمن

كما أنها قد لعنت المصورين مطلقا ، وحكمت عليهم بأنهم

أشد الناس عذابا يوم القيامة . وما ذلك الا لأن الصور ذريعة ووسيلة لعبادتها ، كما وقع لقوم نوح حسبما أخبرنا الله عنهم فى قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا)الخ فانه قد ثبت فى صحيح البخارى ومعظم التفاسير عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين أن وداً وسواعا ونحوهما كانت أسماء رجال صالحين صوَّر قوم نوح صورها أولا لأجل أن تذكرهم بعبادة أولئك الصالحين ، وبعد أن طال عليهم العهد ، ونسى العلم أغواهم الشيطان فاتخذوها واسطة تقربهم إلى الله ، وترفع حوائجهم الى ربهم ، فسماهم الله بذلك مشركين عابدين للاصنام ، وجعل اتخاذ تلك الواسطة عبادة لها ، وحكم الله بذلك بحكم عام يتناول قوم نوح ـ إلا من آمن ـ وكل من يفعل مثل فعلهم المذكور إلى يوم القيامة ، ولو كان ممن يزعم أن ذلك دين إسلامى ، فلا عبرة بزعمه ، بل العبرة لحكم الله وحده لا لزعم الزاعمين ، والله الهادى

على أن الذى يجعل المسلم يضرب الأخماس بالأسداس أسفا على ما آلت اليه حالة المسلمين الآن بسبب التقليد الأعمى هو عدم وجود ماينبت لنا صحة دفن هؤلاء الأنبياء أو الأولياء المزعومين فى هذه المشاهد التى لا يخلو بلد إسلامى منها . فقد قال العراقى فى كتابه طرح التثريب (ج ٣ ص ٣٢) :

وليس فى قبور الأنبياء ماهو محقق سوى قبر نبينا ﷺ
وأما قبر موسى عليه السلام فظنون بالعلامة التى فى الحديث .
وقبر إبراهيم الخليل ومن معه أيضا مظنون بمنامات ونحوها اه
وقال البحاثة الدكتور داود الجلبي فى كتابه مخطـوطات
الموصل (ص ٢٠٤ و ٢٥٤) عن النبي دانيال وشيث والنبي يونس
ماخلاصته انه نزل بنفسه منقباً عن أثر يدل على دفن هـــؤلاء
الانبياء في هذه المشاهد الضخمة ، فلم يجد أى أثر يثبت ذلك
ماعدا الاوهام والخيالات والمنامات

قال (ص ٢٥٤) قرية النبي يونس ويقال لهـا قرية نينوى :
على تل كبير هو من لواحق خرابة نينوى ، فيها جامع كبير أظان
لانخطىء إذا قلنا إنه كان من الازمنة معبـداً لأقوام ذى أديان
مختلفة ، والآن فيه قبر يزار لا تشك الناس فى كونه قبر النبي
يونس ذى النون الوارد ذكره فى التوراة والقرآن ، ويقولون إن
القبر مركب على سرداب فيه جثة النبي يونس محفوظة من البلا .
ولـكن ابن جبير الذى زار هذا المـكان سنة ... للهجرة وصفه
فى رحلته المشهورة وصفا تاما لم ير فيـه سوى رباط للدراويش
الصوفية ، جل ما فيه بيت عليه ستار كان يقال انه الموضع الذى
وقف فيه النبي يونس عليه السلام ، وأن محراب ذلك البيت محل
عبادته . ولم يذكر هناك قبر ما . وهذا كلام ابن جبير بنصـــه

ص ٢٠٤) — وبعد أن نقل كلام ابن جبير قال : ومثله كلام
بن بطوطة وهذا نصه (ص ١٧٦) فليراجع

وبعد أن نقل كلام ابن بطوطه أيضا قال :

ومن المعلوم أن بناء النبي يونس جدد على عهد تيمورلنك
من قبل وزيره إبراهيم الختنى ، فيظهر أن صدور القبر أقيم من
ذلك الحين أو بعده . ويقرب للفكر أنه أقيم على المحراب الذى
ذكر السائحان رواية تعبد النبي يونس فيه

ثم قال : وفى أسفل البناء الآن دهليز طويل ، ولقد نزلت
اليه بسلم خشب موضوع هناك ومررت حتى بلغت منتهاه ، فوجدته
عبارة عن قبب من الآجر متمادية طولا مركبة على مناطق

ثم قال : انتقل فكرى وأنا أسير فى هذا الدهليز الى دهليز
دخلته قبل سنتين فى أعلى مكان من خرابة الشرقاط قال عنه
المنقبون إنه كان بيت الصنم الذى كان يعبده الآثوريون ،
ولاحظت أن كلا الدهليزين متجه من الغرب إلى الشرق ولافرق
بينهما إلا فى الامتداد ومواد البناء ، فقلت في نفسى : هل كان هذا
الدهليز فى أصله أخاً لدهليز الشرقاط ؟ وهل كان إنشاءه فى القديم
لغاية واحدة ؟ اه

ونحن نجيب الدكتور — والأسى يملأ قلوبنا — بقولنا :
نعم ، ان غاية إنشاء كلا الدهليزين بل وباقى الدهاليز التي على

شا كلتهما ـ وما أكثرها ـ واحدة ، يدلنا على ذلك ما كان أخبرنا به العلامة الشيخ بركات النعمانى قال :

كنت يوما ماراً ببلدة الموصل من أعمال العراق ، وذلك لدى زيارتى لها ، فطرق سمعي صوت مؤذن على المنارة يتنغم بالأسجاع الآتية : اللهم صل وسلم وزد وبارك على ذلك الصدر الرئيس ، والجوهر النفيس ، وعلى من نحن فى حمايتهم وتربتهم مدى الدهر ، نبيك شيث ونبيك يونس ونبيك دانيال ونبيك جرجيس الخ ماهناك من أسجاع إطرائية لا يستحقها إلا إله عظيم

قال : عند ذلك عزمت على أن أعلم شيئا عن هؤلاء الأنبياء الذين قد وضعهم هذا الجاهل برفعه إياهم إلى مقام الألوهية ، لاسيما لأعلم من هو جرجيس ، ومن أين أتته النبوة فارتقى لدرجة الألوهية ؟ بحيث أن أهل البلد دائما وأبداً محتمون بحمايتهم ـ مدى الدهر ـ كما يشهد بذلك قول المؤذن السالف الذكر

قال : ولما أتيت جامع النبى شيث وبذلت الجهد توصلت الى الخلاصة الآتية وهى ان رجلا زعم أن النبى شيث قد ظهر عليه فى المنام وأخبره بأن قبره هنا ، وأمره بأن يبنى عليه ضريحاً ضخما فخما ويقببه بقبة عظيمة ، وهكذا كان ، وكتب على باب الجامع :

من زار نبى الله شيثاً يبتهج   وكل ضيق ـ لاشك ـ ينفرج

ولذلك أضبح هذا الضريح غاصا بالزائرين العاكفين عليه ،

يتسابقون بتقديم عرض حوائجهم اليه خاصة، أو بتوسطه . والله المستعان . قال :

وفي زيارتي لمقام النبي دانيال ظهر لي شبه ماظهر لي في مقام النبي شيث وهي خلاصة أوهام وأحلام ، وأما في زيارتي لجامع النبي جرجيس فقد ظهر لي من الروايات المتضاربة عن هذا النبي المزعوم مايضحك الصبيان ويغضب الحليم ، وكيف أن الشيطان قد لعب في عقول القوم لدرجة أنهم ارتقوا برجل كل ماقيل أو يقال عنه أنه المارجورجيس أو الحر الأموي — إلى درجة النبوة فما فوق يدلك على ذلك الأبيات المكتوبة على باب غرفة القبر وهي :

زيارة جرجيس النبي بشارة لنيل مراد والمرام مع اليسر
لأعتابه فأت ولذ بجنابه بنية إخلاص مع الصدق في السر
فقد وعد الرحمن من قد دعا به يجيب دعاه ثم ينجيه من عسر

وكذا الأبيات المزين بها باب الجامع الذي هو في ممر الناس :

زر حضرة ملئت نوراً وتقديسا

واقصد نبي الهدى ذا المجد جرجيسا

ما جاءه قاصد يشكو ملمته إلا ونفس عنه الكرب تنفيسا

قال : ولما أردت أن أعلم شيئا عن النبي يونس عليه السلام وهو النبي الرابع المألوه اقترح علي أحد أصحاب النيات الحسنة من المقلدين أن أرافقه إلى زيارة النبي يونس يوم الجمعة عسى الله أن يوفقني لمتابعة ستة زيارات أخرى فتكتب لي عند الله حجة

كاملة ، وذلك على حسب اعتقاد معظم أهل البلد ، أو لأربعين زيارة على اعتقاد بعضهم

ولما ذهبنا رأيت الجامع على سعته غاصاً بالمصلين ، فصعد منبر الخطابة رجل عجوز طاعن فى السن هو مفتى البلدة ، فخطب ، وليته لم يخطب ، وبعد الفراغ من الصلاة تقدم المفتى ومن ورائه ذلك الغثاء كغثاء السيل إلى الضريح متأدبا خاشعاً ـ دونه خشوعه فى الصلاة ـ باكياً مستبكياً ، ناحباً متضرعا رافعاً يديه ، صارخا بأعلى صوته : ياابن متى يا ابن متى ، طالباً منه أن يدرك المسلمين وينجيهم مما هم فيه من الجدب وانقطاع الامطار عنهم ونحو ذلك من البلايا التى تدهم أهل البلدة فى بعض الأحيان كما أخبرنى مرافقى فى تلك الزيارة أن ذلك دأب الخطيب على الدوام

فعلمت حينئذ أن منشأ ضلال العامة صادر من أمثال هذا الخطيب ، وذلك ماخشيه النبي ﷺ من زلل عالم بالجبة والعمامة والاسم والشهرة فلاحول ولا قوة الا بالله على ما حل بالامة من الجهل الفظيع والشرك القديم المردى لها فى قعر السعير

(تصرف) قال الطحطاوى (ص ٣٦٢) من حاشيته على مراقى الفلاح : قال فى الاحياء : ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه ، فان ذلك من عادة النصارى . كذا فى شرح الشرعة اه

أقول : وهذه الامور الثلاثه برهان واضح على ما ادعيناه من أنهم اخترعوا لهم كعبة غير كعبة البيت الحرام ، حيث أنهم

أثبتوا لكعبتهم التى نصبوها على القبور مصورة بصورة رجال لوازم الكعبة المشرفة ، أعنى الاستلام والطواف والتقبيل ووضع الستر حتى يكمل بذلك وقعها فى نفوس العابدين ، وتعظيمها فى قلوب الطائفين حولها اقتداءاً بالنصارى على ما أشار اليه الغزالى

(ت ص ١٣) قال الله تعالى لأمثال هؤلاء الداعين أصحاب القبور (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) قال البيضاوى فى تفسير (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير . قال شيخ زادة فى حاشيته (ج ٢ ص ٢٢٨) لم يذكر ـ أى البيضاوى ـ الأصنام ، لأنه تعالى قال فى صفة المدعوين (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وابتغاء الوسيلة إلى الله لا يليق بالاصنام البتة انتهى

يريد أن الاصنام لما كانت جماداً يتعذر عليها ابتغاء الوسيلة ولذلك قال : فينبغى أن تكون الآية نازلة فى قوم عبدوا الملائكة من المشركين الزاعمين لأنفسهم أنه ليس لهم أهلية الاشتغال بعبادة الله تعالى ودعائه بطلب حاجاتهم ـ أى مباشرة دون وساطة ، يقولون : ولذلك نحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى من الملائكة ونحوهم من العباد الصالحين ، فاتخذوا للملك الذى عبدوه تمثالا وصورة ، واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم أنه تمثال ملك ، فأنزل الله تعالى تلك الآية احتجاجا على بطلان قولهم

ووجه الاحتجاج أن الاله المعبود هو وحده القادر على إزالة الضرر وإيصال النفع . والأشياء التى يعبدونها لا تقدر على كشف الضر ولا على تحصيل النفع ، وغاية شأن الملائكة أنهم عباد مكرمون . فوجب القطع بأن شيئا منها ليس باله ، انتهي

وقال الرازى فى تفسيره (ج ٤ ص ٨١٩) انهم وضعوا هذه الأصنام والاوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم ، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة تلك التماثيل فان أولئك الاكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ، ونظيره فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فانهم يكونون شفعاء لهم عند الله ، انتهي

وقال فى الدر المختار (ج ٥ ص ٣٩١) مانصه :

وفى التتارخانية معزواً للمنتقى عن أبى يوسف عن أبى حنيفه لاينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) اهـ قال ابن عابدين: قوله « إلا به » أى بذاته وصفاته وأسمائه اهـ

فهذا تصريح الرازى وشيخ زاده وأبى حنيفه وابن عابدين وكلهم قد أفاد كلامه بأن التوسط بالانبياء والملائكة والاولياء والتشفع بهم فى قضاء الحوائج أو الدعاء بغير المأذون فيه والغير المأمور به أيا كان مخترعه لا يجوز فى دين المسلمين بل هو بعينه

دين المشركين الذى أبطله الله بصريح القرآن كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله) الخ .
قال فى الجلالين : أى لا تقدموا بقول ولا فعل بين يدى الله ورسوله المبلغ عنه أى بغير اذنهما . انتهى

وكقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله — إلى قوله — وان الظالمين لهم عذاب أليم)

وقال الرازى أيضا فى تفسيره (ج ٥ ص ٦٠٥) تحت قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) الخ ما نصه :

اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين . ثم قال: وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى ، فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة ، ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل ، والله تعالى احتج على بطلان قولهم فى هذه الآية فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال فى صفتهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وابتغاء الوسيلة إلى الله لا يليق بالاصنام البتة .

إذا ثبت هذا فنقول : إن قوماً عبدوا الملائكة فنزلت هذه الآية فيهم

قال ابن عباس : كل موضع فى كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ « زعم » فهو كذب . اه مختصرا

فاذا علم ذلك أدركنا مدى ابتعاد معظم المسلمين اليوم عن حقيقة دينهم واستبداله بدين المشركين بصورة طبق الأصل ، فعاقبهم الله بسلبه نعمة الاستقلال والسيادة ، وجعلهم أذلاء مستعبدين لا يفكرون فى الخلاص من هذا الذل : وإذا فكروا لا يهتدون ، قال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)

وقال تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم – إلى قوله – ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين – إلى – إن ربك من بعدها لغفور رحيم) وقال تعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

والآيات فى ذلك أكثر من أن تحصى

ولعل قائلا يقول : إن هـذه الآيات إنمـا نزلت فى حق المشركين . ونحن نقول له : لو تأملنا الأعمال التى عملها غـير المسلمين فـكانوا بسببها مشركين مستباحى المـال والدم لظهر لنا أن معظم ذلك هو اتخاذهم صورة تمثل أحد الصالحين ليتذكروه فيتقدموا به إلى الله مستشفعين . وقد يكون ذلك الصالح نبيا من أولى العزم كسيدنا عيسى عليه السـلام مثلا ، وتلك الأعمال هى عين الأعمال التي يقوم بها معظم المسلمين اليوم ، فنحن نراهم ونشاهدهم فى معظم بلاد المسلمين قد أقاموا هذه الصور التى تمثل فلانا ، وفلانا قد يكون صالحا حقيقة ، وقد يكون بالعكس على خط مستقيم ، مع أنه مهما بلغ من الصلاح فلا يمكنه الوصول إلى درجة سيدنا عيسى عليه السـلام ، أو درجة الملائـكة المـكرمين

فان توهم واهم ممن قد لعب بعقـله شيطان الجن أو شياطين الانس وما أكثرهم فقال إن هذا قياس باطل ، لأن المسلمـين لايعبدون الصور ولا الاصنام ، فنحن لا نرد عليه بأكثر من أن نـكلفه الذهاب إلى أى ضريح شاء من الاضرحـة المشهورة ليرى بعينى رأسه كيف أنهم قد وضعوا فوق القبر صندوقا ضخما ذا رأس معمم بعمامة تمثل عمامة المدفون تحت ذلك الصنـدوق ، وقد يقلدونه سبحة فى عنقه ليكون أدعى إلى جلب الناس اليه ، وإلى عبادته فيستعظمونه ويتوسطون به إلى الله

وهـذا لاشك هو عين ما كان يفعله المشركون ، وذلك كما حكاه الله عنهم في عدة آيات تقدم تفسيرها عن الرازى والبيضاوى بما يطابق ماقررناه تماما من عدم الفرق بين جهلة المسلمين وبين دين جهلة المشركين الاولين ، عياذاً بالله من اختراع فروق بينهما لا تطابق الواقع .

(ت ص ١٣) قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) قال ابن كثير في تفسيره (ج ٩ ص ١٨) :

يقول تعالى آمراً عباده أن يوحدوه في محالّ عبادته ، ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده اهـ

قلت: وهذا التوحيد هو الذى بعث الله به جميع الرسل بالدعوة اليه . قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) فالذى يدعو الاموات ، ويعتقد أن ذلك دعوة الرسل ودينهم يكون لا محالة . مفتريا عليهم وعلى الله ، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم

هذا وقد اعترف الشيخ على القارى الحنفى بأن دين المشركين هو التشفع والتوسط بالانبياء وغيرهم من المخلوقات حيث قال فى بدء الامالى ص ٣٠ ما نصه :

فالكفار لم يكونوا شاكين فى وجود الصانع ، وإنما كفروا بتعدد الآلهة ، متعللين بأن هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وقد وافقه على هذا الاعتراف جميع المفسرين قاطبة من الأولين والاخرين

وأما مغالطة بعض الجهلة بأن نحو آية (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) إنما نزلت فى حق المشركين ، فلا يشمل حكمها من يتخذ الوسائط من المسلمين بزعمه . فيقال لهذا الجاهل بتفسير هذه الايات : ان المفسرين الذين ترضاهم وترجع إلى أقوالهم فى عامة دينك مثل تفسير البيضاوى والرازى والخازن قد خالفوا قولك ، حتى صرح الرازى فى تفسير قوله تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) بقوله : ونظيره فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فانهم يكونون لهم شفعاء عند الله . اه

وهذا نص صريح لا يقبل التحريف ولا التأويل فى أن الرازى يعتقد أن تعظيم القبور ودعاء أهلها وطلب الشفاعة منهم والتوسط بهم ، كفر صريح مخرج من الملة الاسلامية ، وان فاعل ذلك كافر وإن زعم أنه متمسك بالدين الاسلامى ، لان الدين الشركى الوثنى الذى حكاه الله عن المشركين لايختلف باختلاف مزاعم العاملين به وعقائدهم الشيطانية ، بحيث أنه تارة يكون دينا إسلامياً إذا زعم زاعم أو اعتقد جاهل بأنه دين الاسلام ،

وتارة يكون دينا وثنيا تبعاً لاعتقاد الجهلة : وهو فى نفسه دين واحد ، فان هذا لا يقوله عاقل يفهم ما يقول . وما هذا إلا تلاعب فى الدين ، وهو أحد الأسباب التى منعت غـير المسلمين من الدخول فى الاسلام ، بل وساعدهم على تفشى هذا الالحاد الهائل الذى كاد أن يعم لدرجة أصبح معها المولود من أبوين مسلمين غير واثق بصحة الدين الاسلامى ، الأمر الذى جرأ كثيراً من أمثاله لأن يكون من ألد أعداء هذا الدين ، بل وكان سببا أيضا لجلب كثيرا من الرزايا التى حلت بالاسلام ، وستضاعف هـذه الرزايا إن لم يتب ويرجع المسلمون إلى رشدهم ، ويتعلموا حقيقة أوامر الله تعالى ويعملوا بها

على أنه يقال لمن يزعم أن تلك الآيات نزلت خاصـة فى المشركين أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وذلك باتفاق الحنفية والشافعية معاً ، فبعضها يعم غير المشركين بعموم العلة والسبب وبعضها يعم بعموم اللفظ كآية (فلا تدعو مع الله أحدا) ولذلك قال ابن كثير فى تفسيرها :

يقول تعالى آمراً عباده — فلم يقيد كلمة العباد بالمشركين ، لأنها شاملة لهم ولغيرهم ، كما أن كلمة « أحد » نكرة واقعة فى سياق النهى تفيد العموم ، والنهى عن دعاء كل أحد غير الله . اه

وأما قوله « أو نحو ذلك » فالمراد به الدعاء بذواتهم أو بجاههم فى تفريج الكربات وقضاء الحاجات ، وهذا كله باطل

أيضا عند جميع المجتهدين كما مر بك النقل عن أبي حنيفة رحمه الله قائلا إنه لا ينبغي أن يدعى الله إلا به . ومن المعلوم أن كلمة لا ينبغي معناها « لا يجوز » .

قال في شرح الهداية في باب الحظر والاباحة (ج ٢ ص ٤٧٣) ويكره أن يقول في دعائه : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك اه

ومثل هذه النقولات متلقاة بالقبول من جميع علماء الحنفية المؤلفين في المذهب ، وقد نقلوها في أكثر كتبهم المعتبرة من غير إنكار لها ، ولا تأويل لمعناها . فلا داعي بعد ذلك لأن يرمي القائل بها ـ بالوهابية أو ينبز بها ، إذ يلزم من ذلك أن يكون أبو حنيفة وأصحابه وهابيين ، وهذا لا يقوله عاقل يفهم مايقول . إذ من المعلوم أن الوهابية لم تكن إلا بعد الحنفية بأكثر من ألف سنة ، ولم يكن اتفاقهما في بعض الامور إلا اتباعا لما أمر الله به ورسوله

(ت ص ٨) أما الاستغاثة بأهل القبور فهي طلب الغوث منهم أي العون والنصرة والتخليص من كربة إما بطلب ذلك منهم مباشرة ، أو من الله بواسطتهم ، كأن يأتي ذو الحاجة إلى قبر نبي أو غيره ثم يناديه بقوله يانبي الله أو يا ولي الله ، أطلب منك وأنت تطلب من الله . أو ما يضاهي تلك العبارات ، فجميع ذلك عبادة لهم واستعانة بهم دون الله فيما لا يقدر عليه إلا الله

وحده ، وقد أطبق جميع المفسرين الذين فسروا (إياك نعبد وإياك نستعين) على أن المعنى :لانعبد غيرك ولا نستعين بأحد سواك .

فالمستغيث بأهل القبور مع كونه مخالفاً لجميع المفسرين ، وكونه على غير دينهم فهو كاذب لا محالة بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) شاء أم أبى ، أقر بذلك أم لم يقر . لأنه متذلل لهم بالفعل ، راجياً منهم العطاء والاسعاف ، خائفاً امتناعهم عن إجابة مطلوبه ، وذلك تكذيب بقوله (إياك نعبد) كما أنه كاذب أيضا فى قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، لأن من جملة معنى هذه الشهادة أعلم وأتيقن أنه لا يستحق ولا يجوز التذلل والاستعانة والرجاء والخوف إلا لله ومن الله وحده ، وقد تقدم تفصيل ذلك

(ت ص٢٩)الفرق بينهما أن الأول يتضمن الحب الذاتى ، والفقر الذاتى ، ورؤية النعم من المعظم ، واعتقاد أنه متصف بصفات الكمال ، ومنه يصدر الاحسان بالاستقلال ، وأن له قدرة على جلب نفع أو دفع ضر ،قدرة خارقة عن قدرة المخلوقين عموما

فالتعظيم إذاً نشأ عن هذه الأسباب ونحوها فهو تعظيم عبادة وهو شرك ممنوع منه شرعا بخلاف الثانى ، أعنى به تعظيم الاكرام فانه لا ينشأ عن تلك الامور التى لا تليق إضافتها إلا لله وحده ، بل باعثه الامر الشرعى مثل قول النبى ﷺ « فليكرم جاره - فليكرم ضيفه » فان هذا الاكرام المتضمن لتعظيم ضمنى يعود فى

الحقيقة مع ما تضمنه من التعظيم الى الله تعالى الذى أمر به .

والعبد المؤمن يقصد بهذا الاكرام والتعظيم للضيف «مثلا» امتثال أمر الله بذلك وتعظيمه بالعمل بما أمره ربه به ، فهو متعبد بهذا لربه لا لهواه ، بخلاف الأول فانه على العكس، لأنه عابد لشيطانه الذى أمره بتلك التعظيمات للمخلوقات ، متبع لهوى نفسه فيما خيلته له من جلب المصالح ودفع المضار بواسطة تلك الاعمال الشركية

(ت ص ٧) قال ابن كثير فى تفسيره (ج ٩ ص ١٣) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي - فذكر سنده عن كردم بن أبي السائب الانصارى قال :خرجت مع أبي من المدينة فى حاجة ، وذلك أول ماذكر رسول الله ﷺ بمكة ،فآوانا المبيت إلى راعي غنم ، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم، فوثب الراعى فقال: ياعامر الوادى جارك ، فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان ارسله ، فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة ، وأنزل الله على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)

ثم قال : وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبى العالية والحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي نحوه

قال : وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ هذا الحمل وهو ولد

الشاة ، كان جنياً حتى يرهب الناس ويخاف منه ، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه . انتهى

(ت ص ١٣) قال الرازى (ج ٥ ص ٤٨) من تفسيره لآية (ولا تدع من دون الله) ما نصه :

فلا نافع إلا الحق ، ولا ضار إلا الحق ، وإذا كان كذلك فلا حكم إلا لله ، ولا رجوع فى الدارين إلا إلى الله

ثم قال فى تفسير آخر هذه الآية - أعنى قوله تعالى (فان فعلت فانك من الظالمين) لان الظلم عبارة عن وضع الشىء فى غير موضعه ، فاذا كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء فى غير موضعه ، فيكون ظلماً .

فان قيل : فطلب الشبع من الاكل هل يقدح فى ذلك الاخلاص؟ قلنا : لا . لان وجود الخبز وصفاته كلها بايجاد الله وتكوينه ، وطلب الانتفاع بشىء خلقه الله للانتفاع به لا يكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله

ثم قال فى تفسير آية (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) فبين سبحانه وتعالى أنه ان قضى لأحد شراً فلا كاشف له الا هو ، وان قضى لأحد خيراً فلا راد لفضله البتة

ثم قال : قال المفسرون انه تعالى لما بين فى الآية الاولى فى

لا ضار ، غير سواه ، شفا الرازى ، رجوع ، النشور ، الربوبية ، وسادة محمد (ص) نعى معبود التلازن

صفة الاصنام أنها لا تضر ولا تنفع ، بين فى هذه الاية أنها لا تقدر أيضا على دفع الضر الواصل من الغير ، وعلى دفع الخير الواصل من الغير . ثم قال : قال ابن عباس رضى الله عنه (إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) يعنى بمرض وفقر فلا دافع له إلا هو

(ت ص١٦) قال البيضاوى (ج ٢ ص ١٢٢) أى للدلالة على تفرده بالألوهية (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ـ على سبيل الفرض ـ ما استجابوا لكم) لعدم قدرتهم على الانفاع أو لتبرؤهم منكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) يقرون ببطلانه أو يقولون (ما كنتم إيانا تعبدون) اه مختصرا

(ت ص١٦) قال البيضاوى (ج ٢ ص ١١٧) والمعنى ادعوهم فى جلب نفع أو دفع ضر ، ثم أجاب عنهم فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر (فى السموات ولا فى الأرض ، ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا تنفعهم شفاعة أيضا كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله (إلا لمن أذن له) أن يشفع له لعلو شأنه . اه مختصراً

قال فى الجلالين (ص ١٨٢) تحت قوله تعالى (ويعبدون من دون الله) أى غيره (ما لا يضرهم) إن لم يعبدوه (ولا ينفعهم) إن عبدوه (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال الصاوى فى حاشيته : قال أهل المعانى توهموا أن عبادتها أشد فى عبادة الله من عبادتهم إياه . وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ، ولكن نشتغل

بعبادة هذه الاصنام أى المعبودات من ملك أو نبى أو غيرهما فانها تكون شافعة لنا عند الله . قال تعالى اخباراً عنهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ثم قال : ان عبادة الله وحده استمرت من آدم الى نوح ، فظهر فى أمة نوح من يعبد غير الله ، قال تعالى فى شأنهم (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا) الخ فأخذوا بالطوفان ، واستمر من يعبد الله وحده الى زمن ابراهيم ، فظهر فى أمته من يعبد غير الله فأهلكوا بالبعوض ، واستمر من يعبد الله وحده الى أن ظهر عمرو بن لحي وهو أول من بحر البحائر وسيب السوائب فى الجاهلية ، الى أن ظهر سيدنا محمد ﷺ . اه

وقال أيضا (ج ٣ ص ٣٦٥) تحت قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الخ - أى فكانوا اذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون : الله ، فيقال لهم : وما معنى عبادتكم الأصنام ؟ فيقولون لتقربنا الى الله زلفى وتشفع لنا . اه ، وقال فى الجلالين فى تفسير قوله تعالى (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) أى بعبادة غير الله تعالى ، اه

قال الخطيب الشربينى فى تفسيره (ص ٣٥٠) وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا الله ، فيقال فما عبادتكم لهم ؟ قالوا ليقربونا الى الله زلفى — أى قربى — وكأنهم قالوا الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا حسنا سهلا وتشفع لنا عند الله ، اه

قال صاحب الكشاف فى تفسيره (ج ١ ص ١٦٠) أنداداً أمثالا من الأصنام، وقيل من الرؤساء الذين يتبعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم. ومعنى (يحبونهم كحب الله) أى كما يحب الله تعالى، أى يسوون بينه وبينهم فى محبته، لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين)

وقال فى تفسير (أشد حباً لله) لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. اه

فهذا تصريح منه بأن اتخاذ الوسائط هو دين المشركين، وأن الشفيع معناه «الواسطة» وقد أنكر الله فى كثير من الايات اتخاذ الشفيع ومعناه إنكاره سبحانه اتخاذ الوسائط، مع حكمه جل شأنه على متخذى الوسائط بالشرك الأكبر المخرج عن ملة الاسلام

وقد وافق الزمخشرى فيما ذكره جميع المفسرين

قال فى حاشية الجمل (ج ١ ص ١٣٢) وكانوا مقرين بأن لهذا العالم صانعاً مدبراً حكيما كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقد حكى الله عنهم أنهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) اه

وقال النسفى (ج ١ ص ٦٥) مثل عبارة الزمخشرى آنفا

قال الشعرانى فى اليواقيت (ج ٢ ص ٩٧) فان المشرك مقر بوجود الله لكنه أشرك به اه

وقال أيضا فى طبقاته (ج ٢ ص ١٠) وكان الشاذلى يقول: ومن الشرك بالله اتخاذ الاولياء والشفعاء دون الله. قال الله تعالى (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تذكرون) اه مختصرا

فهذا النسفى أيضا وهو من أكابر علماء الحنفية قد وافق باقى المفسرين الذين مر ذكرهم ـ على أن الله أخبرنا عن المشركين أنهم مع كونهم كانوا مقرين بالله، وأنهم انما يلجأون وقت الشدائد إلى الله وحده، بمجرد اتخاذهم الوسائط والتقرب بهم إلى الله قد جعلهم الله مشركين مخلدين فى النار. فلم ينفعهم إقرارهم بوجود الله وبأنه الخالق لكل شىء ولا التجاؤهم اليه وحده وقت الشدة فما القول بمن يلجأ إلى غير الله من المخلوقات الأحياء منهم والاموات فى الرخاء وخاصة عند نزول الملمات، ويشتد التجاؤه بهم، ومع ذلك تجد من يتبرع فى الدفاع عنه ليحشره فى أمة محمد ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

وزيادة على ماتقدم. قال فى حاشية الجمل (ج ٣ ص ٥٨٩) فى تفسير (مانعبدهم الا ليقربونا) أى يقولون لتقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده اه وذكر نحو هذا البيضاوى (ج٢ ص ١٤٣) والبغوى والخازن فى تفسيريهما (ج ٦ ص ٥٩) والخطيب الشربينى فى تفسيره (ص ٣٥٠) فان هؤلاء المفسرين ذكروا فى هذه الصحائف وغيرها

نحو ماقدمنا نقله فى تفسير الآيات النازلة فى حق المشركين ، لاخلاف بينهم وبين غيرهم من باقى المفسرين فى أن المشركين كانوا مقرين بأن الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف ، مالك الملك ، وان وسائطهم لا تملك شيئا مع الله لاعترافهم بأنها مخلوقة لله مملوكة له كما يعتقده المسلمون تماماً لافرق بين هؤلاء وهؤلاء ، غير ان اولئك لما اتخذوا الوسائط حكم الله عليهم بالشرك والكفر والتخليد فى النار

واذا تأملنا ونظرنا بعين بصيرة منصفة رأينا أن العلة التى حكم الله بسببها على اولئك بالكفر هى عين العلة التى يفعلها كثير ممن يزعم الاسلام ، والاسلام برىء منه ، ألا وهى اتخاذ الوسائط ولكن بصورة أوسع وأبشع من اولئك المشركين

ثم اذا علمنا ان الذى أخبرنا بكل ذلك هو رب العالمين جل وعلا أدركنا عظم غلط او مغالطة بعض الجهلة الضالين المضلين ، الذين يحاولون نفى الشرك عن المسلم الذى يتوسط الى الله بنبي او بمقبور قيل عنه انه ولى كان يوجد بلحظه واحدة فى الف مكان ومكان بروحه وجسده ، أو بمن قيل عنه أنه صالح كان كل أربعين يوماً يفطر مرة واحدة على لوزة واحدة ، زاعمين أن الفرق بين المشركين السابقين والمسلمين اللاحقين هو أن أولئك لا يقرون بوجود الله ، والمسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله . أو أن المشركين كانوا يعترفون لله بالخالقية والرازقية الخ ولكنهم كانوا

يتوسطون اليه بالأصنام . وأما المسلمون فانهم يتوسطون اليه بالأنبياء والاولياء . وغفل هؤلاء المغفلين عن معنى آية (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الخ أي قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دونه أى زعمتم المسيح وعزيراً والملائكة وأمثالهم من العقلاء وسائط تقربكم إلى الله زلفى ومعلوم أن هؤلاء ليسو من الأصنام المصنوعة من الجمادات

قال البيضاوى فى تفسيره (ج ١ ص ٢٠٧) فى تفسير قوله تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا

وقال أيضا « ج ١ ص ٢٧٠ » تحت قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك عنكم إلى غيركم « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة » هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة « أيهم أقرب » أى يبتغى من هو أقرب منهم الى الله « الوسيلة » فكيف بغير الأقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد ، فكيف تزعمون أنهم آلهة اه

ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الاية لكفت رداً على أولئك الذين يظنون أن المشركين انما أشركوا لانهم ينكرون وجود الله

أو لأنهم كانوا لا يتقربون اليه الا بالأصنام المكونة من الجمادات فقط ، وذلك لأن الله قد وصف ما يدعونه المشركون من الشفعاء والوسطاء بصفات العقلاء التي يستحيل وصف الأصنام التي هي جماد بها ، وتلك الصفات هي ابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ، وخوف العذاب . ومن المعلوم لدى كل عاقل أن هذه الصفات الثلاثة لا يمكن وصف الصنم والجماد بها

فتعين بالطريق القطعي أن المراد بهذه الاية : شفاعة عباد الله الصالحين كالمسيح والملائكه ، والانكار على كل من يستشفع بمخلوق من الصالحين وغيرهم بغير إذن من الله ، حتى ولو كان المستشفع مستشفعاً بالانبياء والملائكة ، فما القول بمن يستشفع بمقبورين يظنونهم كانوا من الصالحين بينما آثارهم لا تدل على ذلك

فاذا ثبت وتقرر إجماع المفسرين على أن المفهوم من تلك الايات إنكار الوسائط : أنبياء كانوا أم غيرهم وان اتخاذ الوسائط هو دين المشركين الأولين ، وان الحاكم بذلك والمخبر به هو الله رب العالمين ، فلا يمكن بعد ذلك كله أن يقوم دليل شرعي أو عقلي على خلاف ذلك لأمور :

أحدها : ان الاجماع المذكور مفاده قطعي يمتنع أن يأتي دليل يخالف هذا الاجماع القطعي ، لأن ذلك الدليل المفروض فرض محال إما أن يكون قطعيا أو ظنيا ، فعلى الأول يلزم تعارض

القطعيين، وذلك محال ، فالدليل القطعى المفروض وروده محال أيضا . وعلى الثانى يجب رد الدليل الظنى المفروض معارضته للاجماع القطعى ، وذلك لعدم جواز التعارض بين ظنى وقطعى

ثانيها : ان دلالة الايات على ذلك المفهوم قطعية وصدق المخبر بها وهو الله تعالى قطعي أيضا ، والاجماع منعقد على ذلك — وهو قطعى أيضاً ، فيستحيل قطعاً ورود دليل ينقض هذه القطعيات الثلاث ، وعلى هذا استحال دلالة مازعمه المتوسطون دليلا على أن فى دين الاسلام وسائط ، وذلك لما يلزم على إمكان صحة دلالة أدلتهم المزعومة من الامور المجمع على بطلانها :

أحدها : تكذيب الايات الحاكمة بأن التوسط بالانبياء ونحوهم شرك وضلال

ثانيها : تكذيب المخبر وهو الله تعالى فيما حكاه عن المشركين بأن ذلك التوسط هو دينهم لا دين المسلمين

ثالثها : حصول تناقض النبي ﷺ لنفسه ، وذلك فى نهيه المشركين عن التوسط مع إباحته للمسلمين وإثبات فضيلته فى دينهم « وذلك على زعم بعض الجهلة »

وإنما كان هذا تناقضاً لتوارد النفى والاثبات على شىء واحد ، وعلى لسان رسول واحد ، ومعلوم أن ذلك لو أمكن وقوعه — لا سمح الله — لبطل الدين الذى جاءنا به هذا الرسول الأمين ﷺ فكيف وان الواقع والثابت هو أن النبي ﷺ قد

حارب القائلين بجواز التوسط أو استحبابه . وعلى هذا فلا مفر للمتوسطين بالأموات أو الأحياء من إلزامهم بهذه اللوازم ونحوها فهم متحملون مسئوليتها أمام الله

ومن المعلوم القطعى أن الذى تلزمه هذه اللوازم ولو بفعل التوسط من غير التزامه بها هومن أكفر الكفار ومن الخارجين عن ملة الاسلام ، كما أنه من المعلوم أن المتوسط الذى تلزمه هذه اللوازم يستحيل جعله على شريعة نازلة من الله تعالى لما يلزم على ذلك من نقض أديان المرسلين وتكذيبهم ولزوم دعوتهم الخلق إلى دين باطل متناقض

وبهذا تسقط جميع الأدلة التى يستدل بها المتوسطون زاعمين دلالتها على دينهم الباطل . وذلك مثل استدلالهم بآية (وابتغوا اليه الوسيلة) وآية (واستغفر لهم الرسول) وحديث توسل آدم المكذوب ، كما صرح الذهبي بأنه حديث موضوع لا أصل له

(ت ص ١٣) أقول : قد علم من جميع ما نقلناه عن المفسرين المعتبرين لدى أرباب المذاهب كالبيضاوى ومحشيه شيخ زاده ، والنسفى والرازى والجلالين والصاوى والجمل والبغوى والخازن : أنهم جميعاً متفقون على ماذكره المصنف من أن الاستمداد وطلب المعونة فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ومن اتخاذهم وسطاء وشفعاء هو بعينه دين الكفار وعباد الأوثان ، كما علم من ذلك أيضا أن

جميع المفسرين يدينون الله بذلك . ويكون ذلك مدلول الآيات التى فسروها بذلك ، وكذلك غيرهم من المفسرين مثل ابن جرير وابن كثير ، فان نقولاتهم وتصريحاتهم أكثر وأصرح فى كون هذا التوسط هو دين الكفار ، كما أن تفسير ابن جرير لم يقتصر على أن ذلك دين المشركين الأولين من قبل نفسه ، بل أضاف الاعتقاد بذلك إلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وإلى خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ؛ وإلى جميع الصحابة والتابعين . كل ذلك بالأسانيد المتكررة ، والأحاديث النبوية . وكذلك فعل غيره من أئمة الحديث

ومن كان فى شك من ذلك فعليه مراجعة ما ذكرناه من التفاسير ليتأكد بنفسه أن ما يزعمه بعض الجهلة من أن الوهابيين قد انفردوا بهذا الاعتقاد إن هو إلا محض افتراء واختلاق ، فهذه كتبهم بين أيدينا تثبت لكل منصف بأن قولهم ودينهم فى الحكم على التوسط بأنه شرك أكبر ، موافق كل الموافقة لقول جميع المفسرين ولدينهم .

هذا مع العلم بأن من بين هؤلاء المفسرين من له المقام الرفيع وخاصة عند المقلدين الذين يعتمدون كل الاعتماد على تفاسيرهم ، ومنها يتلقون دينهم . فأين يذهبون إذاً وإلى أى تفسير يرجعون إن لم يرجعوا إلى هذه التفاسير ؟ فليرشدونا إلى تفسير على وجه

الأرض فيه مخالفة لهؤلاء المفسرين فى هذه المسألة لنظامهم على أن ماظنوه مخالفة إن هو فى الحقيقة الا موافقة ، ولكنهم غلطوا فيما ظنوا وحسبوا .

ولو فرضنا أن الانكار منهم يتأتى على الوهابية فى تلك المسألة فأنى وكيف يتأتى لهم الانكار على مفسريهم ومعتمديهم مع كونهم يدينون الله فى صحة تفاسيرهم ؟ فلا مفر لهم إذن ولا محيص . فقد ضاق الخناق وعظم المصاب وفات ما فات والى الله المرجع والمآب . فعليهم أن يتداركوا ما هو حاضر وما هو آت .

فالدين الحق والتوحيد الخالص هو دين الله . وما الوهابيون وتابعوهم الا دعاة الى دين الله الخالص لا الى دين اخترعوه ، كما يزعم بعض المفترين عليهم من المغرضين الذين قد أضلهم الله على علم بسبب بغيهم وجهلهم والله المستعان

هذا ومن أصر على عماه فانما يضر نفسه ، ويلق بها الى دركات الهاوية ، أما جهله وعناده وعماه وتقليده لآبائه وأمثالهم من أشباه العوام والانعام وإن ارتدوا لباس العلماء فلا ينفعه شيئاً ، ولا ينجيه من تلك الدركات الساحقة ، فلقد جاء الحق وزهق الباطل ، فلم يبق طريق إلى المنازعة ، بل تعين الاعتراف بأن دين الوسائط — مهما تكن تلك الوسائط — فيما لايقدر عليه إلا الله ، ماعدا الشفاعة فى عرصات القيامة التى تكون باذن الله —

دين وثنى لا يمكن بوجه أن يكون دينا إسلاميا ، إذ هما ضدان لا يجتمعان . ورجاؤنا منهم أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويستيقظوا من رقادهم . وإلا فليعلموا أن الله سبحانه قد هيأ طائفة ظاهرين على الحق مؤيدة بتأييد ربانى وإمداد إلهى ، يذبون عن هذا الدين وعن إحالته إلى دين وثنى ، لا يخافون فى الله لومة لائم . قد بذلوا أنفسهم وأموالهم إلى أقصى غاية فى سبيل نصرة الدين الحنيف . ولديهم من الحجج الدامغة أضعاف ما فى هذه العجالة ، ولا تخفى عليهم أى شبهة يوردها المعارضون مهما بذلوا فى تنميقها وصقلها. تمويها على السذج والدهماء ، وتلبيساً على البسطاء

وها نحن والحمد لله نرى تلك الطائفة المباركة عقدت الخناصر على هدم تلك التمويهات ففضحتها بموج من التأليفات ما تقر به أعين المؤمنين ، وتضمحل أمامها همم المعارضين ، وتضعف قواهم عن رد بعضها فضلا عن كلها

فالأمر إذاً يسير إلى التمام وإن كره المعارضون . فليمدوا مايوحيه اليهم شياطين الانس والجن فلن تنفع عدتهم أمام حجج الله الدامغة وبيناته المتكاثرة .

(ت ص ١٦) قال الرازى فى تفسيره « ج ٧ ص ٢٦٧ » واعلم أن الكفار أوردوا سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع ، وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص

كانوا عند الله من المقربين ،فنحن نعبدها لاجل أن يصير أولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله . فأجاب الله تعالى بأن قال (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون)

وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الاصنام او من أولئك الزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها . والاول باطل ، لان هذه الجمادات وهى الاصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها . والثانى باطل لان فى يوم القيامه لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة الا باذن الله ، فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله الذى يأذن فى تلك الشفاعة ، فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره . وهذا هو المراد من قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً)

ثم بين أنه لا ملك لأحد غير الله بقوله (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) انتهى كلام الرازى

فهل ثمة من يقول إن الرازى كان وهابيا ؟ إنها لا تعمى الابصار

(ت ص ١٧) قال الرازى فى تفسيره « ج ٤ ص ٦٢٣ » تحت قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)مانصه:

اعلم أنه تعالى وصف اليهود والنصارى بضرب آخر من الشرك بقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الخ

وفى الآية مسائل — فذكر المسألة الأولى ثم قال :

المسألة الثانية : الأكثرون من المفسرين قالوا ليس المراد من الارباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم ، بل المراد أنهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم . روى أن عدى بن حاتم كان نصرانيا ، فانتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة براءة فوصل إلى هذه الآية قال : فقلت : لسنا نعبدهم . فقال ﷺ « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ » فقلت بلى ، قال فتلك عبادتهم

وقال الربيع :قلت لأبى العالية : كيف كانت تلك الربوبية فى بنى إسرائيل ؟ فقال إنهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف أقوال الاحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله . انتهى

وكثير من المقلدين يزعمون أن جميع هذه الآيات وأمثالها إنما نزلت فى حق أولئك الكفار والمشركين ، فلا يجوز البتة تطبيقها فى حق المسلمين ، وإذا كان الامر كما يزعمون فرجاؤنا أن يخبرونا عن مراد الله من إنزالها : فهل كان لمجرد التسلية أم للتبرك والحرز من الآفات ؟ أم ماذا ؟ هدانا الله

قال تعالى (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا

فأضلونا السبيلا) الآية .قال الرازى فى تفسيره (ج٦ ص ٨٠٠)
يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، فيتحسرون ويندمون
حيث لا تنفعهم الندامة والحسرة لحصول علمهم بأن الخلاص ليس
إلا للمطيع ثم يقولون (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنى بدل طاعة
الله تعالى أطعنا السادة ،وبدل طاعة الرسول أطعنا الكبراء وتركنا
طاعة سيد السادات ، فبدلنا الخير بالشر ، فلا جرم فاتنا خير
الجنان، وأوتينا شر النيران.

ثم إنهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين ويقولون
(ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) أى بسبب
ضلالهم وإضلالهم . اه

(ت ص ١٦) قوله « أقول ويدخل فيما ذكرناه » أى فى
تحريم ما أحل الله ونحوه من اتخاذ الرؤساء أربابا فى الأمور
الاعتقادية القطعية كتسويغ الاستغاثة بأهل القبور وتقليد
الرؤساء ومتابعة الآباء فى تجويز ذلك ونحوه

١ محذوف فى الطبع

(ت ص ١٦) قوله « الذين يفتون بحكم من الأحكام مما
لا يوافق شيء منه كتاب الله) الخ يريد بذلك مالم يكن عن اجتهاد
سائغ . فان أخطأ مع بذل جهده واستطاعته فى طلب الدليل
وتحرى الحق فلا يدخل فيما ذكره المصنف من الحكم عليه بالكفر
واللعن بل يستحق الأجر الواحد فقط

٢ محذوفا كذلك

(ت ص ١٧) قوله « فان جميع الرؤساء والتابعين لهم تقليداً » الخ . ولا يعذر هؤلاء بالجهل والتقليد لتقصيرهم فى طلب الحق المتعلق بالمسائل القطعية الاعتقادية . دليل هذا ما قاله إمام الحرمين فى الورقات وشارحه المحلى ، وهذا نص عبارتيهما من شرح الورقات « ص ٢٠ » قالا :

وأما الاجتهاد فهو بذل الوسع فى بلوغ الغرض المقصود من العلم ليحصل له . فالمجتهد إن كان كامل الآلة فى الاجتهاد : فان اجتهد فى الفروع فأصاب فله أجران على اجتهاده وإصابته ، وإن اجتهد فيها وأخطأ فله أجر واحد على اجتهاده . وسيأتى دليل ذلك

ولا يجوز أن يقال كل مجتهد فى الأصول الكلامية) أى العقائد (مصيب) لأن ذلك يؤدى إلى تصويب أهل الضلالة من النصارى والمجوس والكفار والملحدين) فى نفيهم صفاته تعالى كالكلام وخلقه أفعال العباد ، وكونه مرئيا فى الآخرة ونحوه

ودليل من قال : ليس كل مجتهد فى الفروع مصيبا قوله ﷺ « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » وجه الدليل أن النبى ﷺ خطأ المجتهد تارة ، وصوبه أخرى . والحديث رواه الشيخان . اه

وبما قدمناه من النقل عن الرازى والبيضاوى يعلم قطعاً أنهما موافقان المصنف على ما حكم به بما يوافق تصريح الرازى فى حكمه

بكفر أولئك الذين كفرهم المصنف . وهذا تصريح الرازى فى تفسيره «مفاتيح الغيب» الشهير بالتفسير الكبير (ج ٤ ص ٦٢٣) فى آخر كلمة من هذه الصحيفة ما نصه قال :

قال شيخنا خاتمة المحققين والمجتهدين رضى الله عنه : قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى فى بعض المسائل ، وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الايات ، فلم يقبلوا تلك الايات ولم يلتفتوا اليها ، وبقوا ينظرون إلىّ كالمتعجب . يعنى كيف يمكن العمل بظواهر الايات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها

ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريا فى عروق الأكثرين من أهل الدنيا

فان قيل : انه تعالى لما كفرهم بسبب أنهم أطاعوا الأحبار والرهبان ، فالفاسق يطيع الشيطان ، فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج .

والجواب : ان الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان إلا أنه لايعظمه لكن يلعنه ويستخف به . أما أولئك الأتباع كانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم ، فظهر الفرق ، اهـ

قال السيوطى فى كتابه «الاكليل فى استنباط التنزيل ص ٤» قوله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

عليه آباءنا) فيه إبطال التقليد اه

وقال السيد صديق خان الهندى فى تفسيره فتح البيان « ج ١ ص ١٩٤ » وفى هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش ، واعتقادهم الفاسد ما لا يقدر قدره ، حيث عارضوا الدلالة فى التقليد . ومثل هذه الآية قوله تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) الخ . يعنى من التحريم والتحليل . وفى ذلك دليل على قبح التقليد والمنع منه ، والبحث فى ذلك يطول

قال الرازى فى هذه الآية تقرير هذا الجواب من وجوه :

أحدها : أنه يقال للمقلد بأن شرط جواز تقليد الانسان أن يعلم كونه محقاً أم لا ، فان اعترفت بذلك لم تعلم جواز تقليده إلا بعد أن تعرف كونه محقاً ، فكيف عرفت أنه محق ؟ وإن عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل ، وإن عرفته بالعقل فذلك كاف فلا حاجة إلى التقليد

وإن قلت ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محقا ، فاذاً قد جوزت تقليده وان كان مبطلا ، فاذا أنت على تقليدك لا تعلم أنك محق أو مبطل

وثانيها : هب أن ذلك المتقدم كان عالما بهذا الشىء إلا أنا لو قدرنا ذلك المتقدم ما كان عالما بذلك الشىء قط وما اختار فيه

البتة مذهبا وأنت ماذا كنت تعمل ؟ فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه كان لا بد من العدول إلى النظر ، فكذا ههنا .

وثالثها : إنك إذا قلدت من قبلك فذلك المتقدم كيف عرفته ؟ أعرفته بتقليد أم لا ، فإن عرفته بتقليد لزم إما الدور وإما التسلسل ، وإن عرفته بغير تقليد بل بدليل فإذا أوجبت تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد لأنك لو طلبت بالتقليد لا بالدليل ، مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدليل لا بالتقليد كنت مخالفا له .

فثبت أن القول بالتقليد يفضى ثبوته إلى نفيه فيكون باطلا . اهـ ما نقله عن الرازى

وقد أفاد كلام السيوطى المتقدم وكلام الرازى اعترافهما بأن الله سبحانه قد أبطل التقليد وجعله تعالى دين المشركين ، فنحن نتحدى جميع المقلدين فى التصدى لإبطال ما أفاده كلام الله وكلام السيوطي والرازى بأن يبذلوا كل مالديهم من تحريف وتلبيس وحيل شيطانية ، لكى يضاعفوا على أنفسهم أوزارهم وأثقالهم ، وأوزار من يقلدهم على ضلالهم هذا . فإن عجزوا عن ذلك ولم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا من قسم الضالين المضلين ، فالواجب عليهم أن يتوبوا ، لكن توبتهم تتوقف على بغض التقليد والمقلدين ، واعتقاد أن التقليد دين المشركين ، وأنهم حين

كانوا مقلدين معتقدين أن التقليد أمر مشروع قد شرعه الله لعباده المسلمين ، وأكمل لهم دين التقليد بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم) قد قلبوا دين المسلمين إلى دين المشركين الذى هو التقليد ، وافتروا على الله بأنه رضيه دينا اسلاميا فى حين أن الله قد حرمه وحكم عليه بأنه دين المشركين ،فالواجب على التائب منه أن يعترف بأنه قد كان كاذباً مفترياً على الله وعلى آياته فى كل قراءة اعتقد فيها تنزيل نحو تلك الآية التى استدل بها المحرفون وهى آية (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) على دين المقلدين الذى دان هو به مدة طويلة ، ونزل الآيات التى حكم الله فيها بصحة الدين الحنيف على دينه المذكور

وإذا كان مع ذلك قد استدل على صحة التقليد ووجوبه بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) يكون حينئذ ناسباً التناقض إلى الله فى كلامه ، لأنه يكون المعنى على زعمه : فقلدوا غيركم إن كنتم لا تعلمون ، فيكون فى هذه الآية أمر بالتقليد وفى الاية المتقدمة نهى عنه وبيان أنه دين المشركين . وهذا تناقض، ومن نسب التناقض إلى الله فقد كفر ، فيكون لا محالة والحالة هذه ناسبا هذا التناقض إلى الله فى كل قراءة قرأ الايتين المذكورتين ، وذلك جرم عظيم ملزم به العبد وان لم يشعر به ، ولا يصح ايمانه مالم ينزه الله عنه .

فان قيل : ان بعض الناس لايقدر على الاجتهاد

فالجواب : ليست جميع المسائل الدينية تحتاج الى اجتهاد ، بل منها ما هو ظاهر يفهمه كل أحد ،لاسيما المسائل الاعتقادية القطعية إذا اقتصر على أخذها من الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تأويل ، وعلى غير الاصول الكلامية ، والقواعد الفلسفية ، وأما الفروع العملية فأكثرها أيضا مصرح به فى الأحاديث النبوية وقد جمعها علماء الحديث على أبواب الفقه وشرحوها ووضحوها ، وبينوا الصحيح من الضعيف . فليس على الانسان مهما كان بليداً إلا أن يطالع ذلك بهمة وعزيمة قوية ، أو يسأل من يقرأ ذلك عليه أن يوضح له معانيها وما يشكل عليه منها

فاذا وصل بعض الناس إلى درجة البهائم لا يسمع ولا يعقل فالذنب منه حيث أهمل دينه واهتم بدنياه ، فانتقم الله منه بسبب ذلك بأن جعله على تلك الحالة . فعليه أن يتوب عن تلك الأسباب التي أوقعته إلى حالة العجماوات حتى يعود اليه سمعه وبصره وقلبه وإلا فهو من الهالكين

فان قيل: مهما فعل العبد العامى من بذل الجهد فيما ذكرت لا يصل الى درجة المجتهدين

فالجواب: يجب عليه أن يسئل عن دليل المسئلة ويعطى كليته الى فهم ذلك ،ويستعين ويستغيث بالله استغاثة المضطر ، فان فهم

الدليل فيها والا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها . وهذه طريقة متوسطة : طريقة الاتباع ليس فيها تقليد ولا اجتهاد

وحيث أبطلنا التقليد برمته يجدر بنا أن نتكلم عن الشفاعة الغير المشروعة فى عدة فصول لا يستغنى عنها وقل أن تجدها فى كتاب على التفصيل اتماما للفائدة فأقول وبالله التوفيق :

قال العلامة السويدى فى العقد الثمين ونقل الحنفية عن بشر بن الوليد انه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به

قال : وفى جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل : بحق الانبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وقال القدورى : المسألة بخلقه تعالى لا تجوز . انتهى

(فصــــل) قال العلامة المذكور : ولئن قلت ان النبى ﷺ مأذون بالشفاعة ونحن نطلبها ممن هو مأذون فيها

فالجواب : أنه ﷺ الان موعود بالشفاعة ووعد الله حق ، لكن من شروطها أن تكون بعد الاذن ورضاه عن المشفوع فيه ، فلا تطلب منه الان ، ولو كانت تطلب منه الان لجاز لنا أن نطلبها أيضا ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والأفراط والحجر الاسود والصالحين . ولجاز لنا أن ندعوهم ونلتجىء اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة ، إذ لا فرق بين الجميع بالثبوت والاذن . اه

أقول فى توضيح السؤال والجواب :

أما السؤال فزعم قائله أن الله سبحانه قد قال لنبيه محمد ﷺ إنى قد أذنت لك فى الشفاعة يوم القيامة ، ولو وقع ذلك لصدق قوله انه ﷺ مأذون بالشفاعة . أجاب المجيب بأن هذا القول لم يقع بعد من الله تعالى ، وأما إخباره صلى الله عليه وسلم فى احاديث الشفاعة بأن الله سبحانه سوف يأذن له بها يوم القيامة فذلك حكاية حال سوف تقع تتضمن الوعد بوقوع الاذن حينئذ وبعد أن يقول الله له : ارفع رأسك واشفع تشفع : يسمى إذ ذاك مأذونا له فى الشفاعة . أما الآن فلا

(فصل) وعلى تقدير أن يكون ﷺ مأذوناً الان بالشفاعة يوم القيامة ، فما الذى يفيد السائل فى تحصيل مطلوبه ؟ فان النزاع فى كونه ﷺ مأذونا بالشفاعة فى البرزخ لا يوم القيامة ، وهل يلزم من كونه ﷺ مأذونا بها إذ ذاك أن يكون مأذونا بها اليوم؟ هذا مما لا قائل به .

فان قيل : نقول به بالقياس على يوم القيامة

قيل لا يصح ذلك لوجوه :

أما أولا : فاذا قال لك ملك مخلوق سوف أعطى إذنا لك بالدخول علىّ فى يوم العيد ، هل يمكنك أن تدخل عليه كل يوم جمعة مثلا بالقياس على ذلك الوعد ، وهل يعد ذلك جرأة على الملك أم لا؟

فاذا كان الدخول عليه كل جمعة يعتبر جرأة وهو عبد مخلوق ، فكيف لا يعد جرأة على ملك الملوك ؟

ثم ان الرسول الأعظم الذى هو أعرف الخلق بجلاله وعظمته وما يليق به من الأدب كيف يمكن أن يفعل نظير ذلك الفعل — أعنى الاستشفاع للخلق اليوم استناداً منه ﷺ على قياس وعد الله له بالشفاعة يوم القيامة؟

ثم نقول على تقدير ان هذا القياس ليس فيه جرأة ولا إساءة أدب مع الله جل جلاله حسب عقولنا ومقتضى قصور معرفتنا بجلال الله ، وما ينبغى له سبحانه ، فقد يكون فى ذلك أعظم الجرأة وإساءة الأدب بالنظر إلى معرفة الرسول ﷺ بربه ، فانه لاشك ان معرفتنا بالله أقل من معرفة الرسول ﷺ بربه سبحانه ، فاذا احتمل أن فى ذلك أدنى جرأة ولو باحتمال ضعيف كيف يجوز لنا أن ننسب ذلك الفعل المحتمل لإساءة الأدب إلى الرسول ، بعد ما أخبرنا أنه ﷺ أعرفنا بالله وأخشانا له

وبعد التأمل فى هذا كما ينبغى يظهر لكل مسلم منصف عظم هذه النسبة مع مافى ذلك من لزوم التقول عليه ، فانه على تقدير عدم تسليم تلك الجرأة يحرم ذلك أيضا ، حيث أننا ننسب اليه أنه يفعل فعلا لم يخبرنا بحديث صحيح أنه يفعل ذلك اليوم فى البرزخ والعلماء قد أجمعت على حرمة الكذب عليه ﷺ ، فلا مخرج من

ذلك إلا بذكر حديث صحيح يأمرنا فيه أو يجوزلنا فيه الاستشفاع به ﷺ بعد الوفاة

(فصل) يتضمن حديث الشفاعة أموراً : منها خطاب بعض الخلق للانبياء فى طلب الشفاعة منهم شفاها . وهذا يتعذر فى الدار الدنيا فى حق البعيد عن قبورهم ، حتى بعد الاعتراف بأنهم أحياء فى قبورهم ، لأن ذلك يتضمن علمهم بأحوال العباد شرقا وغربا كما يقتضى أنهم يسمعون من يطلب منهم الشفاعة ولو كان بعيداً عن مراقدهم مسافة مائة سنة مثلا . وهذه الصفات لا تكون إلا لرب العالمين .

أما مسألة بلوغ الصلاة على نبينا ﷺ خاصة اليه ، فذلك ليس بطريق سماعه لها من عموم الخلق بنفسه ، بل بواسطة ملائكة موكلين لتبليغ صلاة المصلين اليه ﷺ ، فكيف يصح بعد ذلك القياس على الشفاعة يوم القيامة مع هذه الفروق وما تضمنها من إعطاء صفات رب العالمين المختصة به إجماعا إلى جميع الأنبياء والمرسلين والعباد الصالحين ، فان ذلك يحتاج أن يبتنى على قياس آخر أفسد من الأول بأن يقال :

نحن نقيس سماع جميع الأنبياء ما عدا نبينا على سماع نبينا ﷺ للصلاة عليه أو نقيس على سماع كلام المخاطبين لجميع من فى البرزخ عند مراقدهم — سماعهم لمن يتوسل بهم بعيداً عن مراقدهم

فى أقطار الأرض . فيقال : هذه الأقيسة من أفسد القياس لقيام المانع منها من عدة وجوه :

الوجه الأول : إن هذه المطالب ليست مما تثبت بالقياس

الثانى : ان المقيس عليه فى القياس الاول باطل كما تقدم من كون نبينا ﷺ لم يسمع بنفسه الصلاة عليه بل بواسطة تبليغ الملائكة كما قد ثبت فى الأحاديث

الثالث : أن هذه الأقيسة تتضمن اتصاف المخلوقين بصفات الخالق التى لاتكون مقدورة للبشر فى دار من الدور وزمان من الازمنة ، التى يجب على كل مسلم اعتقاد استحالة اتصاف المخلوق بها بوجه من الوجوه ، لأنها مقصورة على الخالق جل شأنه . إلى غير ذلك من الموانع التى تظهر بالتأمل الدقيق وبالله التوفيق

(فصل) ومما تضمنه حديث الشفاعة وقوع الشفاعة بعد عدة أمور : منها شدة الكرب على عموم الخلق ، وتقديمهم طلبها من غير نبينا ﷺ وانتهاؤها اليه ﷺ ، ثم ذهابه إلى تحت العرش ، وتقديمه ﷺ على الشفاعة السجود تحت العرش وبقاؤه ساجداً حتى يقال له : ارفع رأسك ، بعد أن يلهمه الله محامد لا يلهمه اياها قبل ذلك ، ولم يكن يعلمها قبل ذلك ، ثم بعد هذه الأمور كلها يأذن له ﷺ بالشفاعه

فاذا أردنا أن نعمل بالقياس على هذه الشفاعة ، فالقياس الصحيح ان تكون الامور المذكورة المتقدمة على الشفاعة ،

والمرتبطة بها ، التى لها مدخلية كبيرة فى وقوع الاذن بسببها جائزة فى البرزخ ، فان القياس على أمر موقوف حصوله على أسباب لا يصح الا إذا وجدت تلك الاسباب فى المقيس مع وجود العلة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه ، والعلة هنا شدة الكرب فى الموقف وإعطائه ﷺ المقام المحمود المختص به على رؤس الاشهاد ، وذلك مختص بيوم القيامة بدليل قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً

وهذه العلة مستحيل وجودها ، أو وجود مثلها أو ما يقاربها فى هذه الدار ، وهذا وحده يكفى فى إبطال هذا القياس ، فان جميع المجتهدين القائلين بالقياس قد شرطوا للقياس وجود العلة الجامعة وقالوا هى المصححة للقياس ، وههنا العلة المذكورة مقطوع بامتناع وجودها ، فلا يجوز هذا القياس بوجه من الوجوه

بل ههنا مانع آخر من صحة القياس وهو تصريحه ﷺ فى الحديث بأنه حينئذ يلهم مقدمة الشفاعة ، وهى المحامد التى لم يكن يعلمها قبل ذلك ، فلو كانت الشفاعة ومقدماتها واقعة اليوم منه ﷺ لزم أن يكون فى كل وقت متردداً إلى السجود تحت العرش لاجل الشفاعة لأمته فى قضاء حوائجهم ، وفى كل مرة يلهم بتلك المحامد ، وهو قد أخبر أنه لم يلهم بها قبل ذلك ، فلزم منه انه لم يذهب قبل يوم القيامة إلى السجود تحت العرش ولا مرة

(فصل) وهلا يجوز أن تكون شفاعته قبل يوم القيامة من

دون تلك المقدمات ؟ قيل : ومن الذى يقدر أن يقول يجوز بغير علم منقول عنه بذلك صلى الله عليه وسلم . وكيف يمكن أن يصح عنه حرف واحد بذلك مع تضمنه الأمور المستحيلة التى يعلم بطلانها بالضرورة الدينية ، وباجماع الأولين والآخرين من المجتهدين

(فصل) وههنا موانع أخر من القياس المذكور وهو تضمنه تشريكه صلى الله عليه وسلم فى صفة ربه الصمدانيه ، لأن الصمد معناه المقصود بالحوائج

قيل : فهلا يلزم ذلك فى الشفاعة الكبرى يوم القيامة ؟

قيل: كلا ، لوجوه :

الوجه الأول : أن هناك تشاهد الخلائق عظمة الله وانفراده بالملك والتصرف، وأن الأمر كله لله ، كما يشاهدون ذل الخلائق وخضوعهم حتى الأنبياء يرونهم جاثين على الركب كما قد ورد فى الحديث الصحيح، وكل منهم لا يطلب إلا نجاة نفسه ، فعيسى ابن مريم يسمعونه يقول : لا أسألك مريم التى ولدتنى ، ولا أسألك إلا نفسى نفسى . وهكذا غيره من الأنبياء إلا نبينا (ص) فانه يقول «أمتى أمتى » ومع ذلك فيشاهدونه قد أظهر من العبودية لربه بغاية التواضع والتذلل ، فيخر ساجداً قبل الشفاعة ، فيشهد بعض الخلق غاية تذلله والله أعلم

ومع ذلك فلا يرفع رأسه إلا بعد صدور الارادة السنية والأمر

العالى من جانب الرب المقدس الأكبر . ومع هذا الحال والمقام المشاهد لا يمكن لقلوب الخلائق أن تلتجىء بالشفيع ، ولا أن تخضع وتنكسر أو تتذلل له ، بل الحال والأهوال ومشاهدة الحال ، يضطرها إلى الالتجاء والخضوع والانكسار والتذلل للخالق وحده لا يمكنها غير ذلك

(فصل) والوجه الثانى أن يوم القيامة يوم تنقطع فيه معظم التكاليف ، فلو فرض التجاء بالشفيع وإشراك له فى صفة الصمدانية فقد يقال لا يؤاخذون به لانقطاع التكاليف ، على أن ذلك لا يمكن أن يصدر من أحد إليهم إلا إن كان ممن كان يتخذ الشفعاء فى الدنيا ويعتقد أنهم يشفعون فى البرزخ بغير إذن . فاذا تعمدوا ذلك مع علمهم بعدم مشروعيته يحرمون يوم القيامة من الشفاعة ، لأن الله تعالى قد أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضى . وهؤلاء لا يرضى الله عنهم ، فلا يأذن لأحد بالشفاعة لهم

أما اليوم ونحن فى دار الدنيا ، ولم نشاهد من عظمة الله التى يظهرها يوم القيامة ، ولا حصل لنا من الذل مثل ما يحصل يوم القيامة ، ولا وجد منا ذلك الخوف مثل ما يحصل يوم القيامة من الخوف العظيم . فبالضرورة إذا توسطنا بالانبياء والصالحين تتوجه قلوبنا إليهم ، وينقطع توجهها عن الذى بيده الأمر كله ، ويحصل مع ذلك نوع من التوكل عليهم فى قضاء الحوائج ، اذ كانوا هم

السبب في تحصيلها أو تعجيلها أو تيسيرها . ولهذا نرى عيانا من يعتقد ذلك يتقرب إلى الأنبياء بالبدع والمنكرات ، فينذر لهم النذور ويقبل أعتابهم ، ويطوف بضرائحهم ويوقد القناديل لهم ويخضع لهم خضوعا زائداً على خضوعه بين يدي ربه

وهذا والله قد جرى لي بنفسي ، فمن شاء فلينكره فانى حيث شاهدته في نفسي قبل خمسة عشر سنة لا يمكنني إنكار ما قد شاهدته فأقول كنت في ذلك الحين أطوف على مقامات الصالحين ومراقدهم . فلما أحضر عندهم أطرق رأسي وأتأدب غاية الأدب ، وأنكسر لهم وأتذلل أكثر من تذللي في الصلاة . بل مرة ذهبت إلى زيارة أحد القبور التي اتخذها كثير من الناس أصناما ، فبقيت أتدرج في الانحناء إلى أن وصلت إلى حد الركوع ، وفي تلك الحال خطر لي أن هذا ركوع له ، فما أدري بأي شيء جاوبت نفسي ، وما كان هذا الا بقصد التقرب اليه ليقربوني إلى الله زلفى . وكذلك غيري ، وأنا مع ذلك لا أسميه عبادة ، وماذا يفيد عدم تسميتي عبادة لهذا الفعل الذي هو عين العبادة ؟ أوليس قد صدرت بالفعل مني عبادة غير أني كنت جاهلا بحقيقة العبادة ومع ذلك فاني أعترف في ذلك الوقت بأن الشيخ المقبور عبد مملوك ليس هو بخالق السموات والأرض ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، وهل كانت عبادتي له بالركوع الا مسببة عن اعتقاد أنه واسطة يقربنا أو ترفع دعائنا الى الله فيحصل بذلك

سرعة الاجابة . وماذا يفيد أن نقول ان بيننا وبين المشركين فرق من جهة أن أولئك توسطوا بأخشاب وأحجار ونحن توسطنا بعباد صالحين مقربين . ومعلوم أن شرك أولئك ليس لاجل كون وسطاءهم أحجاراً وليس أنهم لو كانوا عباداً صالحين لم يكونوا مشركين . ومعلوم أن العلماء قد نقلوا أن بعض المشركين كانوا يتوسطون بالملائكة كما تقدم ومع ذلك فقد أنكر الله عليهم ذلك ، ولو كان شركهم لذلك لكان الرسول صلى الله عليه وسلم نقلهم إلى التوسط به أو بالملائكة والانبياء ، فان ذلك أقرب إلى اجابتهم من طلبه منهم رفع الوسائط بالكلية

فليتأمل هذا الباب وما ينتج منه من المفاسد العظام ، المناقضة لدين الاسلام كما هو الحال المشاهد وما كان ذلك متسببا الا عن الدعاء بالجاهات ، واعتقاد أن الأنبياء والصلحاء يعلمون الغيب ويسمعون نداءهم حيث كانوا ، وان الحوائج لابد وأن تنقضى لهم ، فيلزم من ذلك أنهم اذا رفعوها بغير واسطة الى ربهم لا يقضيها لهم ، وهذا فيه بالتأمل نقص واساءة أدب حيث أنه تعالى وتقدس يحتاج الى محرك يحركه فى ايصال ضروريات عباده الذين هو ربهم ومصلحهم ومدبرهم بغير واسطة

ولم يذكر أحد من الصحابة والتابعين فى تفسير الرب أن معناه المدبر أمور عباده المصلح لهم بواسطة أحد من المقربين ، ولا تدل

عليه اللغة العربية ، وغير جائز لأحد أن يقيده بذلك بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله يجيب دعوة عباده بغير واسطة ويصلح شؤونهم ويقضى حوائجهم بغير واسطة فانه تعالى قال (ادعونى أستجب لكم) ولم يقيد ذلك بالواسطة . وقال (ولا تدعوا مع الله أحداً) والمتوسط قد ذكر أحدا مع الله فى دعائه، وانكار هذا انكار للمحسوس المشاهد، فلا يمكن قبوله بوجه

(فصل) ومن الفرق أن الخلائق لما يسمعون آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى اعترفوا بعجزهم عن الشفاعة وتقدم محمد ﷺ ليا لا يقطعون بقبولها اذ يرونه قد خر ساجدا فيعلمون أن شفاعته موقوفة على الأذن ، وبعد حصول الاذن يعلمون قطعا أن هذه الشفاعة راجعة لله سبحانه ، ولذاك قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) والمدة بين استشفاعهم وحصول الاذن قليلة ، فاذا حصل لهم التجاء به قبل الأذن بظن أنه يشفع بغير إذن يزول ذلك سريعاً عقب حصول الأذن فيعلمون بالمشاهدة أن الله هو المتفضل بهذه الشفاعة ، إذ لولا الاذن لم يقدر أن يشفع لهم محمد (ص) ولو شفع بغير إذن وحاشاه من ذلك لم تنفع شفاعته ، بل لا تتكلم نفس فى هذا اليوم الا باذنه

فأما الاستشفاع به (ص) اليوم فكل هذه الأمور مفقودة، فان الالتجاء به (ص) والاعتماد عليه فى المهمات يدوم فى قلب الملتجيء

وكثير من الجهال لا يعتقد أن شفاعته اليوم موقوفة على الاذن ، ولا علم له بحصول الاذن على تقدير امكانه كى يعلم أن الشفاعة كلها لله حتى يرى ويعتقد أنه تعالى هو المتفضل بها والمنعم على عباده بها

(فصل) ومن الفروق المانعة من القياس أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر فى الحديث الصحيح أن لكل نبى دعوة مجابة قال « واختبأت دعوتى شفاعة لأمتى » وهذا مانع من أن يكون له (ص) دعوات أخرى يستشفع بها فى البرزخ بحيث تكون مجابة على القطع وقد يقال لو كان له صلى الله عليه وسلم استشفاع فى البرزخ لدل عليه أمته ، لان حاجتهم اليه أعظم من حاجتهم فى يوم القيامة من حيث ان الدنيا دار تكليف . فاذا دعا صلى الله عليه وسلم للعبد فى أن يختم الله له بالايمان او أن يوفقه للعمل الصالح ، فهذا يكون أنفع له من الدعاء له يوم القيامة . بل هذا هو اصل النجاة يوم القيامة

وإذا ضم الى هذا كونه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤف رحيم ، وانه فى غاية الشفقة على أمته وشدة الحرص على ماينفعهم لم يمكن أن يكون له صلى الله عليه وسلم صلاحية الشفاعة فى البرزخ ولا يدل عليه امته فان هذا مناف قوله (ص) « ما تركت شيئا يقربكم إلى الله الا وقد أمرتكم به » وبالله التوفيق

(ت) قوله : لايجوز الاعتماد على كل كتاب ولا الأخذ بكل قول — مثل كتب المنطق وعلم الكلام والفلسفة ، وكتب

لم يحذف من الطبع

المتصوفة المتداولة فى هذه الازمنة

قال شيخ الاسلام الهروى الشافعى فى كتاب الدر النضيد (ص١٨٢) مانصه: المشهور عند الشافعية أن المنطق والفلسفة ليست من العلم المحترم حتى يجوز الاستنجاء بكتبها. وجزم النووى فى شرح المهذب بأنه لايجوز بيع كتب الكفر والتنجيم والشعبذة والفلسفة بل يجب اتلافها لتحريم الاشتغال بها. انتهى

قال محشيه السيد محمد بدر الدين: والذى ندين الله به أن علم الكلام الذى دونوه وجعلوا المنطق بعض وسائله ليس من العلوم الشرعية، ولا مما يجب الاشتغال به، وانما هو حرام، عاص مؤلفه ومطالعه، ومن يقول بحله، ويكفى فى بيان حرمته أن جميع ما دخل على المسلمين من الزيغ والالحاد والتردد والتشكيك فى العقائد حتى فى ذات البارى جل شأنه وصفاته فانما منشؤه هذا العلم المشحون بالاباطيل والخرافات. الى آخر كلامه فى هذا الباب

(ت ص١٩) قوله فمنها الحلف بغير الله الخ قال فى الدر المختار (ج ٣ ص١٠٥) والقسم بالله تعالى وباسم من أسمائه او بصفة من صفاته لا بغير الله تعالى كالنبى والقرآن والكعبة. انتهى

وقال أيضا (ص٨٦) وقوله وحقا وحق الله وحرمته، وبحرمة شهدالله وبحرمة لااله الا الله، وبحق الرسول وعذابه وثوابه، ورضاه ولعنة الله وأمانته: لايكون قسماً. انتهى مختصراً

قال فى الدر المختار (ج ٣ ص ٨٠) قال الرازى: أخاف على من قال بحياتى وحياتك وحياة رأسك أنه يكفر، وإن اعتقد وجوب البر فيه يكفر. انتهى

قال ابن عابدين فى التعليق عليه: إن فى الحلف باسم غيره تعالى تسوية بين الخالق والمخلوق فى ذلك. انتهي

يشير بقوله « فى ذلك » إلى ما قدمه من أن اليمين ما كان موجبها البر أو الكفارة الساترة لهتك حرمة الاسم.

ثم قال ايضا فى تلك الصحيفة: وفى القهستانى عن المنية ان الجاهل الذى يحلف بروح الامير وحياته ورأسه لم يتحقق اسلامه بعد. انتهى

قال فى الدر المختار (ج ٥ ص ...) وكره قوله بحق رسلك وأوليائك، أو بحق البيت. انتهي

قال الامام النووى فى شرح مسلم (ج ص ١٠٥) قال العلماء: الحكمة فى النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى، فلا يضاهى به غيره. انتهى

فما قول الحالفين بالشرف او بتراب أمه أو أبيه او بالنبى الفلانى أو الشيخ الفلانى الخ

(ت ص ٢٠) قوله: لظاهر قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا)

فانظر كيف جعل على الرازى — وهو من كبار علماء الحنفية — القسم او السؤال بحياتك ونحوه من اتخاذ الانداد المنهى عنه بنص القرآن ، وليس ذلك الا لما يتضمنه من التعظيم لحياة المخاطب

قال البيضاوى فى تفسيره تحت قوله تعالى (ويعبدون من دون الله — الى قوله — فلا تضربوا لله الامثال) مانصه :

فلا تجعلوا له مثلا تشركون به أو تقيسونه عليه ، فان ضرب المثل تشبيه حال بحال اه

قال شيخ زادة فى حاشيته عليه من ملحق الاول : فانه تعالى لما وصف المشركين بأنهم يعبدون ما لا يملك شيئاً من الرزق ، ولا استطاعة لهم أصلا فرع على ذلك نهيهم عن أن يجعلوا له مثلا يشركون به تعالى فى ألوهيته أو يقيسون تعظيمه على تعظيم ذلك المثل بأن يقولوا هو مثل له تعالى فى استحقاق التعظيم لما أن عبادة عبيد الملك أدخل فى تعظيمه من عبادة نفسه بالذات ، فالمثل على الاول ما يعبدونه من الشركاء ، وعلى الثانى ما يقيسونه مما يعظم شأنه عندهم . انتهى ، من الجلد الثانى (ص ١٠٩)

قال الشيخ تقى الدين المقريزى فى كتابه تجريد التوحيد (ص١٨٠) ومن خصائص الالهية : العبوديه التى لا تقوم إلا على ساق الحب والذل . فمن أعطاها لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى فى خالص حقه ، وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر ، لكن لما غيرت الشياطين

فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا كما روى ذلك عن الله أعرف الخلق به ﷺ وبخلقه ، عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً

ومن خصائص الالهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبهه به ومنها التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به . ومنها التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به . ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به . ومنها الذبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به . ومنها حلق الرأس . الى غير ذلك

هذا في جانب التشبيه . وأما في جانب التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى إطرائه ورجائه ومخافته ، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته ، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه . وفي الصحيح عنه ﷺ انه قال: يقول الله عز وجل العظمة إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني في واحد منهما عذبته .

واذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالمتشبه بالله في الربوبية والألوهية ؟ انتهى مختصراً

وقال أيضا (ص ٢٠) وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ، ولذلك من ظن أنه اذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه

ذلك الغير اليه تعالى فانه يخطىء لكونه شبهه به وأخذ ما لا ينبغى أن يكون إلا له. فالشرك منعه حقه، فهذا قبيح عقلا وشرعا ولذلك لم يغفر لفاعله.

واعلم أن الذى ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له، ولا يستجيب له الا بواسطة تطلعه على ذلك، أو تسأل ذلك منه، فقد ظن بالله ظن السوء، فانه إن ظن انه لا يعلم أو لا يسمع الا بإعلام غيره له وإسماعه، فذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفى بذلك ذنبا. وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج الى من يلينه ويعطفه عليهم، فقد أساء الظن بأفضال ربه وبره واحسانه وسعة جوده.

وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال الله تعالى (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) اهمختصرا

(ت) قوله: كعلم الغيب وشبهه

قال ابن عابدين فى حاشيته على الدر المختار (ج٣ ص٤٥٨) فى الحديث «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أخرجه اصحاب السنن الأربعة، وصححه الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه

والكاهن من يتعاطي الخبر عن الكائنات في المستقبل ويدعى معرفة الأسرار. والعراف المنجم، وقال الخطابي: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق والضالة ونحوهما، والذي يدعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما يكون، والكل مذموم شرعا، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر، وفي البزازية: يكفر بادعاء علم الغيب وباتيان الكاهن وتصديقه. وفي التاتارخانيه: يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات او أنا أخبر عن إخبار الجن اياي

فعلى هذا أرباب التقاويم من أنواع الكاهن لادعائهم العلم بالحوادث الكائنة

وحاصله أن دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها. اه

فهذا حكم علماء الحنفية بكفر من ينادي أهل القبور من مكان بعيد عن قبورهم أو يندبهم أو يدخل عليهم أو يستجيرهم أو نحو ذلك من أفعالهم الشركية، فان هذه الافعال تتضمن اعتقاد فاعليها أن الاموات المدفونين في بلاد بعيدة يعلمون بحال من يناديهم من أقطار الأرض، ويسمعون أصوات الداعين والمستغيثين بهم، وهذا السماع وذلك العلم خارج عن مقدور الأحياء والأموات، وكفر معتقده لا يختلف فيه عالمان من المسلمين ولا كتابان من كتبهم

(ت ص ٢٠) قوله: شرك تقريب ـ الى قوله ـ من أصول الضلال التقليد الردى

قال الغزالى في المستصفى (ج ٢ ص ٣٨٧) التقليد هو قبول قول

بلا حجة ، وليس ذلك طريقا الى العلم لا فى الاصول ولا فى الفروع اه

وقد صرح المزنى بأن شيخه الشافعي قد نهاه عن تقليده وتقليد غيره ، وكذلك بقية المجتهدين نهوا عن التقليد لانه بدعة فى الدين . قال المزنى تلميذ الامام الشافعي فى أول صفحة فى مختصر الأم المطبوع بهامش كتاب الأم للامام الشافعى مانصه : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه ، وبالله التوفيق . اه

ولا شك أن المقلد غيره او نفسه وهواه فى دين باطل والمتخذ واسطة فى غير تبليغ الاحكام تقربه تلك الواسطة الى الله على زعمه قد اتخذ ذلك الغير وتلك الواسطة طاغوتا ، فيجب عليه إن كان يرجو الله والدار الآخرة اجتناب ذلك الطاغوت ، مع الكفر به وبتقريبه وتقليده وعبادته عملا بقوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

قال ابن عابدين فى الثالث من حاشية الدر المختار (ص ٤٤٤)

ثم اعلم أن من كان كفره بانكار أمر ضرورى كحرمة الخمر مثلا لابد من تبرئه مما كان يعتقده ، لانه كان يقر بالشهادتين معه فلابد من تبرئه معه كما صرح به الشافعية وهو ظاهر اه

وقال تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) الآية

قال الرازى (ج ٧ ص ٢٤٤) اعلم أن الله تعالى لما ذكر وعيد عبدة

الأصنام والأوثان ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز من الشرك ثم قال : اختلفوا فى أن المراد من الطاغوت ههنا الشيطان أم الأوثان ، فقيل انه الشيطان

فان قيل : أنهم ماعبدوا الشيطان ، وانما عبدوا الصنم ، قلنا : الداعي الى عبادة الصنم لما كان هو الشيطان كان الاقدام على عبادة الصنم عبادة للشيطان . وقيل المراد بالطاغوت الصنم والطغاة هم الذين يعبدونها ، الا أنه لما حصل الطغيان عند مشاهدتها ، والقرب منها وصفت بهذه الصفة . وقيل كل ما يعبد ويطاع من دون الله فهو طاغوت

قلت : وهذا هو الحق الذى تؤيده اللغة على ما سيأتى نقله عن القاموس .

ثم قال الرازى : وأقول حاصل الكلام : والذين اجتنبوا الطاغوت أى أعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله

قوله تعالى (وأنابوا الى الله) أى رجعوا بالكلية الى الله .

ورأيت فى السفر الخامس من التوراه أن الله تعالى قال لموسى ﷺ أحب إلهك بكل قلبك . ثم قال : وأقول مادام يبقى فى القلب التفات الى غير الله فهو ما أحب إلهه بكل قلبه ، وانما تحصل الاجابة بكل القلب إذا أعرض القلب عن كل ماسوى الله من باب الطاعات فكيف يعرض عنها مع أنه بالحس يشاهد الأسباب المفضية الى المسببات فى هذا العالم ؟

قلنا : ليس المراد من إعراض القلب عنها أن يقضى عليها بالعدم ، فان ذلك دخول فى السفسطة وهو باطل . اه

قال فى القاموس (ج ٤ ص ٣٥٧) والطاغوت : اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ماعبد من دون الله ومردة أهل الكتاب .قال الراغب فى المفردات (ص٣٠٧) والطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله قال (فمن يكفر بالطاغوت ـ والذين اجتنبوا الطاغوت ـ أولياؤهم الطاغوت) اه. قال فى روح البيان (ج ١ ص ٢٧٦) الطاغوت هو كل ماعبد من دون الله اه قال فى الصحاح (ج٢ص٥١٠) والطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس فى الضلال قال (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ـ أولياؤهم الطاغوت) اه باختصار

قال الرازى فى تفسيره (ج ٧ ص٤٣٩) ثم قال تعالى (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) والمقصود أنه تعالى لما بين أنه لا دليل لهم على صحة ذلك القول البتة (أى القول بعبادة الوسائط) بين أنه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين أن تمسك الجهال بطريقة التقليد أمر كان حاصلا من قديم الدهر فقال (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وفى الآية مسائل . فذكر الأولى ثم قال :

(المسئلة الثانية) لو لم يكن فى كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت فى إبطال القول بالتقليد ، وذلك لأنه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا فى إثبات ما ذهبوا اليه لا بطريق عقلى ولا بدليل نقلى. ثم بين أنهم إنما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف ، وانما ذكر تعالى هذه المعانى فى معرض الذم والتهجين ، وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل .

ومما يدل عليه أيضا من حيث العقل أن التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين المحق ، فلو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشىء ونقيضه حقا ، ومعلوم أن ذلك باطل

(المسئلة الثالثة) أنه تعالى بين أن الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب التنعم فى طيبات الدنيا ، وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله تعالى (إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة) والمترفون هم الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهى ، ويبغضون تحمل المشاق فى طلب الحق.

وإذا عرفت هذا علمت أن رأس جميع الآفات حب الدنيا، واللذات الجسمانية ، ورأس جميع الخيرات هو حب الله والدار الآخرة، فلهذا قال عليه السلام «حب الدنيا رأس كل خطيئة » ثم قال تعالى لرسوله (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه

آباؤكم) أى بدين أهدى من دين آبائكم ، فعند هذا حكى الله عنهم انهم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا ، لاننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى ، فإنا بما أرسلتم به كافرون وان كان أهدى مما كنا عليه . فعند هذا لم يبق لهم عذر ولا علة ، فلهذا قال تعالى (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) هذا كله كلام الرازى فى تفسيره للآيات المذكورة

قال البيضاوى (ج ٢ ص ٦٨) فى تفسيره عند قوله تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) أى لا حجة لهم على ذلك (أى على اتخاذ الوسائط والأنداد من دون الله ولا على اتخاذ الرؤساء أربابا من دون الله) ثم قال : وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة . ثم قال تحت قوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ما نصه : تسلية لرسول الله ﷺ ودلالة على أن التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم ، وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه ، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد . اه

(ت ص ٢٥) قوله : من أصول الضلال الجهل المركب

قال فى بدء الأمالى (ص ٢٩)

وما عذر لذى عقل بجهل بخلاف الأسافل والأعالى

قال شارحه الشيخ على القارى : المعنى أنه لا عذر لصاحب عقل أن يجهل صانعه الذى خلق السموات والأرض الدالة على صانعها ومنشئها كما قال الله تعالى (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقال (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) وفى فطرة الخلق إثبات وجود البارى كما قال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة» ويدل عليه قضية الميثاق أيضا الوارد فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم)الآية

ولهذا لم يبعث الأنبياء الا للتوحيد لا لاثبات وجود الصانع كما يشعر قوله تعالى (قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض) فالكفار لم يكونوا شاكين فى وجود الصانع ، وانما كفروا بتعدد الآلهة متعللين بأن هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وانهم ليقربونا الى الله زلفى .وروى الحاكم الشهيد فى المنتقى عن أبى حنيفة انه قال : لا عذر لأحد فى الجهل بخالقه ، وفى ظاهر الرواية انه لو لم يعرف ربه ومات يخلد فى النار اه (ص٣٠)

وقال الشعرانى (ج١ ص٧٤) من المنن أن العبد مادام متكلا على الخلق لا يستحق أن يبدأه الحق بفضل ولا نعمة الا استدراجا ،وما دام العبد واقفا مع الخلق راجيا لعطائهم وفضلهم سائلا لهم مترددآ الى أبوابهم ، معرضآ عن التوكل على الله تعالى فهو مشرك بالله اه

وبذلك تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرآ ، وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ،وأشهد أن لا إله الا الله المعبود بحق ولا معبود بحق فى الوجود سواه ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أرسله بأمره ليطاع ،فمن أطاعه فقد اهتدى ومن خالفه فلاحظ له فى الاسلام إذا كان بمخالفته متعمداً ، وعن شريعته بقصده حائدا

أما بعد فقد درست هذه الرسالة لمؤلفها العالم المسلم الأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد الحسو الموصلى فوجدته قد تدعم أوامر الشريعة امتثالا ، ونواهيها إيضاحا ، مستدلا بما يغنى ويقنى من آمن بالله واهتدى ،ووفقه للسلامة من الوقوع فى أشراك من ضل واعتدى ، كشف عن حقائق النصوص الشرعية نقابا ، وأبان من أسرارها ما كان يظنه الكثير من الضالين من الماء يقدر سرابا ، فجزاه الله عن دين محمد خير الجزاء ، وأناله من المغفرة ما يغسل عنه أدران ما كسبت نفسه من خطأ متعمد بتوبة مقبولة نصوح ،وما كان من خطأ غير مقصود بحسنة مضاعفة ، وليس ذلك على كرم الله بعزيز

وان نصيحتى لمن يطلع على هذا المؤلف أن لا يتردد بقبول ما يحتويه ، ولا يدب الشك الى قلبه فيرفض شيئا مما جاء فيه ، فهو من الحق لباب ، اذ فند وساوس الباطل ، ومزاعم كل مأفون جاهل ، ببراهين أدلى بها من كتب يعتبرها مسلمو هذا العصر

ويراها جمهورهم أصل الشرع وغاية الأمر ، فلا معنى والحالة هذه لتردد شافعى أو حنفى أو مالكى أو حنبلى بشىء مما اقتضته نصوص من عليهم يعولون ، والى أقوالهم بما يشكل من أمر الشرع اليها يرجعون ، أما من لا يرضى الا بصحيح الدليل ولا يعبأ بقول أحد أو قيل ، فان أمره واضح وسبيله واضحة لا يحتاج الى اقناع أو تدليل ، فحسبه أن ثبت فى ذلك الكتاب وما أوضح به أصح دليل عن المعصوم من كتاب الله المنزل عليه ومن سنته التى أمره بها الله ، فها هو التوحيد قد وضح وكان قبلا متضحاً ولكن زاده ذلك التأليف صراحة وبيانا لأرباب التقليد ، فما عساه أن يبدىء المتنكب عن القبول من حجة أو يعيد .

وفى الختام أبتهل إلى الله عز وجل أن يهدى أمتنا إلى دين الحق الذى لا يرضى الله لها دينا غيره وأن يخلصها من تلك الردة التى كاد أن يقع بها جمهور الأمة المحمدية الا من رحم الله

وصلى الله وسلم على محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً .

أملاه محمد بن عبد الرحمن السند المقيم فى الزبير

فهرس رسالة البراهين المهديه

٢ ترجمة المؤلف
٥ معنى كلمة التوحيد وما تدل عليه
٧ بيان ما ينافي لا إله إلا الله
٨ بيان أصناف الانداد
١٢ قطع عمر للشجره التي بويع تحتها النبي ﷺ حماية للتوحيد
١٥ الفتنة بتعظيم القبور ومن فيها
١٧ تحريم اتخاذ التماثيل والتصاوير
٢٤ أصول الضلال ثمانية

فهرس شرح رسالة البراهين

٢٦ وجوب معرفة أن صانع العالم واحد
٢٨ بيان معنى (أشهد) والرد على المخطئين
٣٤ استواء الله على عرشه
٣٥ لا إله الا الله : حقها
٤٠ بيان معنى العباده والمحبة
٤٣ التصرف في الكون لله وحده وبطلان تصرف الاقطاب
٤٥ الغلو في النبي ﷺ ووصفه بصفات الربوبية
٥٣ معنى تحريم من قال : لا إله الا الله ـ على النار
٥٩ ماقال علماء اللغة والتفسير في معنى الند

٦٥ دعوى علم الغيب للمخلوق باطلة

٧٢ بيان معنى الايمان

٧٨ حديث لا تجعلوا قبرى عيدا

٨٢ بيان معنى الجمع والفناء والبقاء عند الصوفية

٨٩ بيان معنى (ولا قبراً مشرفا إلا سويته)

٩٢ تحريم النذر للمخلوق وأن النذر الصحيح لا يفيد

٩٧ ليس هناك دليل على أن فلانا بعينه فى القبر المنسوب اليه

١٠٢ التمسح بالقبور وتقبيلها

١٠٩ ايمان المشركين بوجود الله لم ينفعهم

١١٤ دعاء غير الله شرك . والآيات فيه

١٢١ اتخاذ الوسائط هو دين المشركين

١٢٧ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله

١٣٢ ذم التقليد والادلة عليه

١٣٦ فصول مهمة فى الشفاعة وبيانها وبيان وقتها

١٥٢ ما يتضمنه التوسل من إساءة الظن بالله تعالى

١٦٠ تقريظ الكتاب

٦